

# فَجَاءَ نَسِكَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ

عَائِضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْنِي

دار ابن حزم

# وَجَاءَتْ نِسْكَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ

و. عَائِضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْنِي

## المؤلف في سطور

- ✽ عائض بن عبدالله بن عائض آل مجدوع القرني.
- ✽ من مواليد عام ١٣٧٩هـ ببلاد القرن جنوب المملكة العربية السعودية.
- ✽ حصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ
- ✽ حصل على الماجستير في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ وعنوان رسالته «البدعة وأثرها في الدراية والرواية».
- ✽ حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٢هـ بعنوان «دراسة وتحقيق كتاب المفهم على صحيح مسلم للقرطبي».
- ✽ له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية.
- ✽ يحفظ القرآن الكريم وكتاب بلوغ المرام ويستحضر ما يقارب من خمسة آلاف حديث وأكثر من عشرة آلاف بيت شعر.
- ✽ له أربعة دواوين شعرية هي:
  - ١ - لحن الخلود.
  - ٢ - تاج المدائح.
  - ٣ - هدايا وتحايا.
  - ٤ - قصة الطموح.
- ✽ أما مؤلفاته: فقد ألف في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، ومن مؤلفاته التي أصدرتها دار ابن حزم ببلبنان:

- ١ - الإسلام وقضايا العصر.
- ٢ - تاج المدائح.
- ٣ - ثلاثون سبباً للسعادة.
- ٤ - دروس المسجد في رمضان.
- ٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله.
- ٦ - مجتمع المثل.
- ٧ - ورد المسلم والمسلمة.
- ٨ - فقه الدليل.
- ٩ - نونية القرني.
- ١٠ - المعجزة الخالدة.
- ١١ - اقرأ باسم ربك.
- ١٢ - تحف نبوية.
- ١٣ - حتى تكون أسعد الناس.
- ١٤ - سياط القلوب.
- ١٥ - فتية آمنوا بربهم.
- ١٦ - هكذا قال لنا المعلم.
- ١٧ - ولكن كونوا ربانيين.
- ١٨ - من موحد إلى ملحد.
- ١٩ - إمبراطور الشعراء.
- ٢٠ - وحي الذاكرة.
- ٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
- ٢٢ - ترجمان السنة.
- ٢٣ - حدائق ذات بهجة.
- ٢٤ - العظمة.
- ٢٥ - لا تحزن.
- ٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق.
- ٢٧ - مقامات القرني.
- ٢٨ - احفظ الله يحفظك.
- ٢٩ - أعذب الشعر.

✽ حضر عشرات المحاضرات والأمسيات، وحضر مؤتمر الشباب العربي المسلم ومؤتمر الكتاب والسنة بالولايات المتحدة الأمريكية، وحاضر في الأندية الأدبية والرياضية وحاضر في الجامعات والمكتبات الثقافية.



# الفهرس

الموضوع	الصفحة
آخر ساعة .....	٧
كفى بالموت واعظاً .....	٢٩
إذا وضعت في الحفرة .....	٤٠
زوروا القبور .....	٤٩
أحكام الموت وما بعده .....	٦١
النعي والبكاء على الميت .....	٩٣
يوم يبعثر ما في القبور .....	١٠٩
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى﴾ .....	١١٦
الطامة الكبرى .....	١٢٥
الطريق الأخضر .....	١٤٢
طلاب الجنة .....	١٥٥
يا حبذا الجنة .....	١٦٦
دار الخلد .....	١٧٤
دار القرار .....	١٩٧
أخبار النار .....	٢٠٣



## آخر ساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ساعة الاحتضار في حياة السلف هي ساعتنا التي سوف نمرّ بها. فما منا إلا ميّت، وما منا إلا محتضّر، ولا منا إلا قادم على تلك الساعة، والله لنذوقنّها والله لنشربنّها... فقد ذاقها الملوك والمملوكون، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء، وذاقها الأمم جميعاً، وأحسّوا بالموت ﴿هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

وموضوعي هذا يدور على ثلاثة عناصر:

أولها: القرآن يتحدث عن الموت.

وثانيها: ذكر الموت في السنّة المطهّرة.

وثالثها: الموت عند السلف الصالح وعند المعرضين الغافلين عن الموت.

حضرت الوفاة عمرو بن العاص الذي يُسمّى أرطبون العرب، لأنه كان داهية من الدهاة، ولكن لا حيلة في الموت... أبطل الموت

حيلة الدهاة، وأعدم الموت قوة الأقوياء، ونسف الموت بنيان الأغنياء، فلما أصبح في سكرات الموت قال له ابنه عبدالله الزاهد العابد: يا أبتى صف لي الموت، فإنك أصدق واصف للموت! هو يذوق الموت، هو يشرب الموت، هو يزاول سكرات الموت.

قال: يا بني والله كأن جبال الدنيا على صدري، وكأنني أتنفس من ثقب الإبرة!

انظر إلى الوصف! كأن جبال الدنيا على صدري، وكأنني أتنفس من ثقب الإبرة!

وأورد ابن رجب أن كعب الأخبار قال له عمر رضي الله عنه وأرضاه: صف لي الموت.

قال: يا أمير المؤمنين، ما مثل الموت إلا كرجل ضرب بغصن من شوك من سدر أو طلح فوقعت كل شوكة في عرق، فسحب الغصن فانسحب معها كل عرق في الجسم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّظَرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧].

إنه مصرع عظيم، والله عز وجل كتب الموت على الأحياء فقال جل من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ولذلك كان الحسن البصري يعظ أبناءه وتلاميذه فيقول: فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لب فرحاً.

قال بعضهم: أعياء الأطباء علاج الموت.

وقال بعضهم: أتى العوَّاد يعودون المرضى فمات العوَّاد ومات المعودون.

وفي ترجمة الربيع بن خيثم الزاهد العابد، أنه مرض، قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: فكُرت وأردت أن أدعو طبيباً، فإذا بالطبيب والمطبوب يموتان.

هيهات... تعالج قوم عاد وقوم ثمود ثم مات الطبيب والمطبوب. ومات العائد والمُعَاد.

وفي سيرة أبي بكر رضي الله عنه وقد صَحَّت عنه، أن الناس قد حضروا وقالوا: يا خليفة رسول الله - وهو في مرض الموت - ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب قد رأيته.

قالوا: فماذا قال؟

قال: إنه يقول إني فعَّال لما أريد.

كيف أشكو لطبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فعلم عليه الصلاة والسلام أنه سيموت ولكنه منتهى منذ أن بعثه الله لهذه الساعة، وذلك المقعد، وتلك الضَّجعة.

وفي كتاب وصايا العلماء عند الموت عن أبي الدرداء رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: هل من عامل لمثل هذه الصرعة؟ هل من عامل لمثل مصرع الموت؟ هل من عامل لمثل هذه الضَّجعة؟ أو كما قال.

ولذلك ذكرنا الله بالموت كثيراً في القرآن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال عزَّ من قائل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِٖ نَفْسُهُ وَيَحْنُ اقْرُبْ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَبْلُغُ الْمَلَاقِيَنَّ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنْ السَّمَاءِ نَزِيلٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٦ - ٢٢]. . . والله لقد غفل كثير من الناس وأصابهم سُكَارٌ وما أفاقوا إلا في ساعة الموت: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

وعند الترمذي بسند حسن أنه عليه السلام قال: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «فما ذكر في قليل إلا كثرة، ولا في كثير إلا قلل»<sup>(٢)</sup>. هاذم اللذات هو الموت، ومفرق الجماعات، آخذ البنين والبنات، الذي أتى بالبلايا والبليات فصرعهم في الحفر المظلمات.

أتيت القبور فناديتها	أين المعظم والمحتقر
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ	وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا	أما لك فيما مضى معتبر
تروح وتغدو بنات الثرى	فتمحو محاسن تلك الصور

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت رقم (٢٣٠٧).

ورواه في كتاب صفة القيامة رقم (٢٤٦٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، كما في الجامع الصغير للسيوطي [يُنظر «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي ٢: ٨٥ رقم (١٤٩٩)] بلفظ «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات، فإنه لا يكون في كثير إلا قلل، ولا في قليل إلا أجزله» عن ابن عمر.

قال ابن كثير في البداية: مرَّ عمر بن عبد العزيز على المقابر فقال:

يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟.. أين الأحباب؟ أين الأصدقاء أين الإخوان أين الجلَّاس؟ أين السَّمَّار؟... يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟ فلم يجبه أحد.

فقال وهو يبكي: أتدرون ماذا يقول الموت؟ قالوا: لا.

قال: يقول: أَكَلْتُ الْحَدَقَتَيْنِ، وَزَرَقْتُ بِالْعَيْنَيْنِ، وَفَصَلْتُ الْكَفَيْنِ عَنْ السَّاعِدَيْنِ، وَالسَّاعِدَيْنِ عَنْ الْعَمُودَيْنِ، وَالْعَمُودَيْنِ عَنْ الْكَتِفَيْنِ. ولو نجا من الموت أحد لنجا منه محمد ﷺ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

مات عليه الصلاة والسلام كما يموت الإنسان، وذاق كما يذوق الإنسان، وصارع سكرات الموت كما يصارعها الإنسان.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم حضرته الوفاة، وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يتناول قميصه فيضعه على وجهه وهو في سكرات الموت وعرقه يتصبَّب، بأبي وأمي هو، فيقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»<sup>(١)</sup>. «اللهم هوَّن عليَّ سكرات

(١) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت رقم (٩٧٨). وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ رقم (١٦٢٣). وحسنه الترمذي، وابن حجر في فتح الباري ١١: ٣٦٢.

الموت. لا إله إلا الله... إن للموت لسكرات»<sup>(١)</sup>، ثم يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٢)</sup>.

ترقيه عائشة رضي الله عنها وأرضاها بالمعوذتين فيقول: «بل الرفيق الأعلى»<sup>(٣)</sup>.

يقول: أريد الرفيق الأعلى، أريد حياة أبدية، أريد نعيماً خالداً... ملّ من الدنيا وسئم من الدنيا، فذاق الموت عليه الصلاة والسلام، لعموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أبو بكر الصديق صحّ عنه في السير أن الوفاة لما حضرته أته ابنته عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات... الطاهرة العفيفة، فجلست عند رأسه تبكي وتقول: يا أبتاه صدق الأول يوم يقول:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
معنى البيت وهو لحاتم الطائي كريم العرب الذي ما نفعه كرمه  
لأنه ما استعدّ لساعة الاحتضار في حياته، ولذلك صحّ عن عدي بن  
حاتم أنه قال: يا رسول الله إن أبي كان يقري الضيف، ويحمل الكلّ،  
ويعين على نوائب الحق، فهل ينفعه ذلك عند الله؟

قال: «لا، إن أباك طلب شيئاً فأصابه»<sup>(٤)</sup>، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) رواه البخاري في كتاب الرّفاق، باب سكرات الموت رقم (٦٥١٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته رقم (٤٤٤١).

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته رقم (٤٤٥١) وفي غيره من الكتب.

ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض رقم (٤٦) / (٢١٩١).

(٤) الإصابة (٤٠١/٦).

فمعنى البيت يقول: والله ما يغني الغنى ولا المنصب ولا الجاه إذا حشرجت الصدور بالنفوس أو حضرت النفس إلى الحنجرة... أو حضرت سكرات الموت.

فالتفت أبو بكر إلى عائشة وقال: يا بنية لا تقولي ذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

ولما مات بحثوا عن ميراثه - وهو خليفة العالم الإسلامي، ذهب الدنيا تحت يديه - فوجدوه قد خلف بغلة وثوبين، وقال: كفوني في واحد، وأرسلوا البغلة والثوب الآخر إلى عمر بن الخطاب الخليفة وقولوا: يا عمر اتق الله لا يصرعنك الله كمصرعي.

ووصلت البغلة والثوب إلى عمر فجلس يبكي وقال: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر.

أي والله لقد أتعب الخلفاء بعده، والله لقد أتعب كل مسؤول أن يقتدي به أو أن يذهب مثل سيرته.

ولذلك ذكر ابن القيم وغيره من أهل العلم: أن أبا بكر كان يخرج كل صباح مع طلوع الشمس، إلى خيمة في ضواحي المدينة فيدخل على عجوز عمياء حسيرة كسيرة من الرعية، فيكنس بيتها ويصنع طعامها ويحلب شياها... أبو بكر الأول بعد الرسول عليه الصلاة والسلام... أبو بكر المجاهد الكبير خليفة رسول الله ﷺ، رجل الساعة، فإذا انتهى رجع إلى المدينة.

فأخذ عمر يتفقد أبا بكر كل صباح أين يذهب، وذات مرة دخل عمر بعد أن خرج أبو بكر، فقال للمرأة: من أنت؟

قالت: أنا امرأة عمياء حسيرة كسيرة، مات زوجي منذ زمن، وما لنا من عائل بعد الله إلا هذا الرجل الذي يدخل علينا.

قال: أتعرفينه؟

قالت: والله ما عرفته.

قال: ماذا يفعل؟

قالت: يكنس البيت ويحلب شياها ويصنع طعامنا.

فجلس يبكي.

سلام على أبي بكر في الخالدين، ورضي الله عنه في الصادقين،  
وجمعنا به في دار كرامة رب العالمين.

هو الموت ما منه ملاذ ومهربُ متى حُطَّ ذا عن نعشه ذاك يركب  
نُؤمل آمالاً ونرجو نتاجها لعل الرجا مما نرجيه أقرب  
ونبني القصور المشمخرات في الهوى وفي علمنا أنا نموت وتخرَّب  
إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا وفي كل يومٍ واعظ الموت يندب  
جاء في التاريخ أن هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي تحدَّى  
الغمام والسحب أن تمطر في أرضه، بنى قصرًا مشيداً في بغداد وقال  
للشعراء: ادخلوا عليّ (ليمدحوه).

فدخلوا جميعاً، ثم دخل أبو العتاهية الزاهد فقال لهارون في قصيدة:

عِش ما بدا لك سالماً في ظلِّ شاهقة القصور  
قال هارون وقد ارتاح وانبسط وهشَّ وبشَّ: هيه، يعني: زد.  
قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور  
قال: هيه.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرة الصدور

فهنالك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور  
فهوى يبكي حتى أغمى عليه.

ولما حضرت عمر بن الخطاب الوفاة وأنتم تعلمون ما هي وفاة  
عمر العظيمة... فالصحابة ما بين صديق أو شهيد:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري  
أما أكثر من يموت من المترفين فإنه يموت تُخمة، فهو شهيد  
الطعام والكباسي! والأكلات وما أدراك ما الأكلات والمرطبات، وما  
أدراك ما المرطبات؟

حجَّ عمر ووقف عند المحراب ورفع يديه... خليفة شاب رأسه  
في العدل، ونحل جسمه في الصلاح، وذاب جماله في طاعة الله! أثر  
الدمع في خديه... صادق في الليل، صادق في النهار.

قال: اللهم إنها ضاعت رعيتي، ورق عظمي، ودنا أجلي،  
فاقبضني إليك غير مفرط ولا مفتون... اللهم إني أسألك شهادة في  
سبيلك وموتة في بلد رسولك.

والله يقول: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]،  
ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ  
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [العنكبوت: ٦٩].

عاد وهو صادق، ووصل المدينة، فقال بعض الصحابة: يا أمير  
المؤمنين تطلب الشهادة في المدينة! الذي يطلب الشهادة يخرج إلى  
الثغور.

قال: هكذا سألت، وأسأل الله أن يلبي لي ما سألت...

وفي إحدى الليالي رأى وكأن ديكاً رومياً نقره ثلاث نقرات،

فسأل أهل العلم من أهل تعبیر المنام فقالوا: يقتلك رجل من العجم، فاستودع الله نفسه وصلى بالناس صلاة الفجر، وطعن في المحراب ووقع صريعاً شهيداً في أحسن بقعة وفي أجل فريضة، وحمل على أكتاف الرجال وهو يقول: أصليت الفجر؟

قالوا: لا.

فأغمي عليه، فلما وضعوا خذه على وسادة قال: ارفعوا الوسادة من تحت رأسي، ضعوا رأسي على التراب لعل الله أن يرحمني... رحمك الله... وأكرم الله أشلاءك... ورفعك الله فقد كنت صادقاً كما قال ابن مسعود: كان إسلامك نصرأ، وهجرتك فتحأ، وولايتك رحمة.

يقول له علي وهو يثني عليه في سكرات الموت: لطالما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر... فعسى الله أن يجمعك بصاحبيك.

قال له: إليك عني، يا ليتني نجوت كفافاً لا لي ولا علي... فرضي الله عنه وأرضاه.

فهم قد أعدوا لساعة الموت وساعة الاحتضار، أعدوا لها من سنوات.

كان علي رضي الله عنه يقول وقد رواه البخاري في كتابه الصحيح: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

علي بن أبي طالب مدرسة من الرقائق والتوجيه والتربية.

علي بن أبي طالب كلماته تنفذ إلى القلوب مباشرة، لأنه صادق مخلص.

عليّ بن أبي طالب صحَّ عنه أنه أخذ لحيته بيديه بالليل وهو يبكي ويقول: يا دنيا يا دنيّة، طلقتك ثلاثاً لا رجعة بعدها، زادك حقير، وعمرك قصير، وسفرك طويل. آه من وحشة الزاد وبُعد السفر ولقاء الموت.

وله مقطوعة نُسبت إليه يقول فيها:

لا دارَ للمرء بعد الموت يسكنها	إلاّ التي كان قبلَ الموت بانيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه	وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الموت نبنيهـا
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها	الجار أحمد والرحمان بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيش نابت فيها

روى مسلم في الصحيح<sup>(١)</sup> قال: حضرت الوفاة عمرو بن العاص فبكى بكاء طويلاً... ومتى يبكي الإنسان إذا ما بكى في تلك الساعة؟ متى يتهيأ لذلك المصرع؟... متى يندم إذا لم يندم تلك الفترة؟

قال: فلما بكى أتى ابنه عبد الله فأخذ يحسن ظنّه بالله ويرجّيه ويقول: يا أباه أما أسلمت؟ أما هاجرت؟ أما ولأك رسول الله ﷺ ولاية كذا على الجيش؟ أما فتحت مصر؟

قال: فحوّل وجهه إلى الحائط ثم بكى طويلاً، ثم أعاد وجهه إلى الناس فقال: إني عشت حياتي على طباق ثلاثة:

كنت في الجاهلية لا أعرف الإسلام، وكان أبغض الناس إليّ رسول الله ﷺ، فلو توفيت في هذه الحالة لكنت في جهنم.

ثم أسلمت فقدمت على الرسول عليه الصلاة والسلام في

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله... رقم (١٩٢)/(١٢١).

المدينة، فلما بسط يده ليباعني قبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟  
قلت: أشرت.

قال: تشتري ماذا؟

قلت: أشرت أن يغفر لي ربي ذنبي.

فتبسّم وقال: أما تدري يا عمرو أن التوبة تجب ما قبلها، وأن الإسلام يهدم ما قبله؟!

قال: فأسلمت، فوالله ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ... والله لو سألتُموني الآن أن أصفه ما استطعت أن أصفه لأنني ما كنت أملاً عينيّ منه إجلالاً له وهيبة منه، فلو متّ على تلك الحالة لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم تخلّفت، فلعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، فوالله ما أدري هل يؤمر بي إلى الجنة أو يؤمر بي إلى النار؟

فلم يبق عندي إلا كلمة أحاجّ بها عند الله وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم قبض يده.

فأتوا يفتحون أصابعه فتعود كما كانت، فغسلوه وهو هكذا، وأدخلوه أكفانه ولفّوه في أكفانه هكذا، وأدخلوه قبره وهو على هيئته. وهذا مصرع ذاقه كل رجل صالح وطالح، وسوف نسمع سير بعض الغافلين وهم في سكرات الموت.

وحضرت الوفاة مع السّحر، فقال لابنه: اخرج يا بني انظر هل طلع الفجر؟

قال: لا.

فسكت قليلاً ثم قال: اخرج انظر هل طلع الفجر؟

قال: نعم طلع.

قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار... اللهم إنك كنت تعلم أنني ما أحببت الحياة لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، ولا لعمارة الديار، ولا لرفع القصور... لكن لماذا؟ لماذا تحب الحياة يا أبا عبد الرحمن يا معاذ بن جبل؟ لماذا تحب الحياة؟

قال: كنت أحب الحياة لثلاث:

لصيام الهواجر، ولقيام الليل، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر.

انظر إلى الحياة الخالدة! فليست الحياة حياة الأكل واللهو والشهوات والمغريات والسيئات... حياة الأغاني الماجنة والمجلات الخليعة والجلسات الآثمة... حياة الفراغ القاتل... حياة الأمنيات التي لا تنفع صاحبها بل تكون عليه حسرة.

هذا الجانب مما شاهده الصالحون في سكرات الموت.

### ● ساعة الاحتضار عند الغافلين:

وأما أهل الغفلة فقد ذكروا عنهم أخباراً كثيرة:

ذكر الذهبي أنه لما حضرت سكرات الموت عبد الملك بن مروان سمع غسلاً بجوار القصر فقال: ليتني كنت غسلاً، يا ليت أُمي لم تلدني، يا ليتني ما توليت الخلافة.

يقول سعيد بن المسيب سيد التابعين لما سمع هذا الكلام: الحمد لله الذي جعلهم يفرّون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم... فحياة توصل صاحبها إلى هذا الغرور نعوذ بالله منها.

وعبد الملك بن مروان هذا لما انتصر على مخالفه وقتل مصعب بن الزبير بالعراق نشر المصحف يوم بويع بالخلافة وقرأ فيه ثم طبقه وقال: هذا آخر عهدي بك!

قال الذهبي معلقاً في السير: اللهم لا تمكر بنا.

أين هذا من سعد بن أبي وقاص أحد المبشرين بالجنة الذي أتت ابنته تبكي عند رأسه وهو في سكرات الموت فقال: يا بنية لا تبكي والله إني من أهل الجنة.

وصدق... هنيئاً له ومريئاً، فقد شهد له ﷺ أنه من أهل الجنة.

فانظر كم بين الرجلين وكم بين المصارعين.

معاوية بن أبي سفيان الخليفة حضرته سكرات الموت فنزل من على كرسيه وكشف البساط ومرغ وجهه في التراب وقال: صدق الله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلٍّ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [هود: ١٥، ١٦]، ثم قال: ما عندي بأرجح من لا إله إلا الله محمد رسول الله... هذا في وصايا العلماء لكن في سندها نظر... ثم قال: إذا متُّ فكفونوني في بردة أخذتها من رسول الله ﷺ، وانظروا في قارورة في الديوان فيها أظفار وشعر للرسول ﷺ ضعوها في عيني وفي أنفي، ثم ذهب إلى الله.

هارون الرشيد لما حضرته الوفاة قام يستعرض جيشه، فنظر إلى الجيش وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

والواق الذي تولّى الخلافة بعد المعتصم وكان بطاشاً شديداً فيه جبروت، وهو الذي قتل أحمد بن نصر الخزاعي العالم الشهير... عالم شهير من قيادات أهل السنة والجماعة ومن واجهات العلماء... أحمد بن نصر الخزاعي الذي له كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة).

دخل على الواق فدعاه الواق للقول بخلق القرآن، فرفض وأنكر وأبى وما استسلم، فتقدم إليه الواق بالحربة وطعنه حتى ذبحه ذبح الشاة.

الواثق هذا لما أدركته سكرات الموت يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء: لما أضجعوه ومات وأسلم روحه أتى فأر فأخذ عينيه فأكلهما! ليُري سبحانه وتعالى الناس الجبابة في الدنيا ذلك.

ودخل طاووس عالم اليمن على أبي جعفر المنصور، وأبو جعفر جبار من الجبابة ذبح الملوك وذبح الأمراء والوزراء... داهية من داهية الناس لكن ذهب إلى الله... فأتى ذباب يقع دائماً على أنف أبي جعفر فيهبه فيعود عليه.

فقال: يا طاووس لماذا خلق الله الذباب؟

قال طاووس: ليذلل به أنوف الطغاة! فسكت.

ثم قال له: ناولني الدواة، دواة يكتب بها أبو جعفر.

قال: لا والله، إن كنت تريد تكتب حقاً فما أنا بخادم لك، وإن كنت تريد باطلاً فلا أعينك على الباطل! ثم قام وتركه، وهذا من مواقف العلماء الأتقياء مع الغافلين.

وابن أبي ذئب دخل عليه المهدي في المسجد النبوي وهو الخليفة ابن أبي جعفر المنصور، فقام الناس إلا ابن أبي ذئب المحدث ما قام.

فقال له المهدي: لماذا لا تقوم لنا كما قام الناس؟

قال: والله الذي لا إله إلا هو أردت أن أقوم لك فتذكرت قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فتركت القيام لذلك اليوم!

قال: اجلس والله ما بقيت شعرة في رأسي إلا قامت.

وذكر عبدالحق الإشبيلي أن المعتصم أته الوفاة... المعتصم القائد العسكري الخليفة الذي فتح عمورية بتسعين ألفاً.

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب يقول بعض المؤرخين: كان يأخذ السيخ من الحديد فيكتب اسمه من قوته... كان من أقوى الناس... حتى يقول أحد المحدثين: دخلت على المعتصم فمدّ لي ذراعه وقال: أسألك بالله أن تعضّ يدي! قال: فعضضت يده.

فوالله ما أثّرت أسناني في لحمه... لكن هذه القوة صرعها هاذم اللذات ومفرق الجماعات وأخذ البنين والبنات.

حضرتة الوفاة... فقال: أموت اليوم؟

قالوا: تموت اليوم... كان شاباً في الأربعين يظن الإنسان لا يموت إلا بعد السبعين.

فتزل من على سريريه وهو يدعو فقال: والله لو ظننت أو اعتبرت أنني سأموت اليوم ما فعلت ما فعلت من المعاصي.

سبحان الله! ما الفرق بين اليوم وغدا؟ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ولا يستفيق المسكور بالمعاصي إلا في سكرات الموت، فكم يعظ الواعظ؟ وكم يتحدث العلماء؟ وكم يدعو الدعاة؟ ولا يستجيب بعض الناس إلا إذا حشرجت نفسه بصدرة، فلا إله إلا الله ما أغفله! أما الأخيار فقد علموا أن الطريق إلى الله تأتي بالتهيؤ لسكرات الموت.

عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد العابد الذي صحَّ عن الإمام

أحمد أنه قال: ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز، لما حضرته الوفاة قال لامرأته فاطمة: اخرجي من غرفتي فأني أرى نَفراً ليسوا بإنس ولا جن (ملائكة) ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلَا مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١) [الأنبياء: ١٠١] اللهم اجعلنا منهم ... اللهم ثبتنا بالقول الثابت يوم تضيق بنا نفوسنا ويشد عليها كربها فلا يكون ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [إبراهيم: ٢٧].

كثير من الناس أدركتهم سكرات الموت وهم في معاص كالجبال، إما دم ... إما فروج ... إما زنا ... إما شرب خمر ... إما رباً، إما غناء ... إما تخلف عن الصلوات الخمس ... إما تجاهل لرسالة الرسول ﷺ وطلب العلم.

فلا إله إلا الله ما أغفلهم!

دخل سعيد بن جبیر على الحجاج بعد أن قبض عليه فقال له الحجاج: من أنت؟ (مستهزئاً).

قال: سعيد بن جبیر.

قال: بل أنت شقي بن كسير.

قال: أُمي أعلم باسمي منك.

قال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك ... ثم قال: والله لأدخلنك ناراً تلظى.

قال سعيد: لو كنت أعلم أن لك ذلك لاتخذتك إلهاً!

قال الحجاج: عليّ بالمال... فأتوا بالذهب والفضة.

قال سعيد: يا حجاج إن كنت جمعته لتتقي به من عذاب شديد فنعم ما صنعت... وإن كنت جمعته رياءً وسمعة فوالله لا يغني عنك من الله شيئاً.

فقال الحجاج: عليّ بالجارية تغني!

فبكى سعيد... فقال له الحجاج: أهو طرب؟

قال: لا والله ولكن جارية سُخِّرَتْ في غير ما خلقت له، وعود قُطِعَ ليستخدم في معصية الله أبكياني.

قال الحجاج: وجّهوه لغير القبلة.

قال: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال: اطرحوه أرضاً!

قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

قال: والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من الناس.

قال: يا حجاج اختر لنفسك، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله بها.

ثم قال سعيد قبل أن يُقتل: اللهم لا تسلطه على أحدٍ بعدي، فذبحه... فما مرَّ عليه إلا أشهر كئيبة يتلوَّى فيها من المرض إلى أن أهلكه الله.

أيها المسلمون... إن المطلوب منا قبل أن تدركنا سكرات الموت

أمر:

**أولها:** أن نتذكر الموت صباحاً ومساءً... وهذه غفلة وقعنا فيها يوم نسينا الموت، وما بعد الموت، ولقاء الموت، وغفلنا عن ذلك ووقعنا في المعاصي والشهوات والشبهات والمخالفات وإغصاب رب الأرض والسموات، حتى وجد من بعض الشباب أنك إذا ذكّرتَه بالموت قال: دعنا نعيش نأكل ونشرب لا تكدر علينا أوقاتنا... فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لبّ فرحاً.

خرج النعمان بن المنذر في نزهة فقال لعدي بن زيد شاعر الجاهليين وكان حكيماً... ماذا تقول هذه الشجرة؟  
قال: تقول:

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا      يخلطون الخمر بالماء الزلال  
ثم ساروا لعب الدهر بهم      وكذلك الدهر حالاً بعد حال  
فرفع الخمر وأخذ يبكي... فلا بد من ثلاثة أمور:  
**أولها:** تذكر الموت بأن يكون في ذهنك كالصداع.

ذكروا عن ميمون بن مهران الزاهد العابد العالم أنه حفر قبراً في داره فكان ينزل كل ليلة في القبر وهو يبكي ويقرأ القرآن ثم يخرج ويقول: ها يا ميمون قد عدت إلى الدنيا فاعمل عملاً صالحاً.  
وبعض الناس جعل كفنه في بيته ينظر إليه دائماً ويذكر مصرعه.

ومنهم من كتب كتابة في بيته يقول: اذكر الموت... اذكر هادم اللذات... فتذكر الموت يأتي بهذه الدواعي.

ومن دواعي تذكر الموت زيارة القبور، وهذا مع غلبة الحضارة واختلاط الناس، ومع المغريات والشهوات ومع ما وجد من مطعومات وملبوسات ومفروشات قد قلّ كثيراً فئسي الموت.

فيا أيها المسلمون، إن من أعظم ما يذكر بقاء الله... الزيارة الشرعية للقبور، بأن تزورها وتسلم على أهل المقابر وتدعو لهم وتذكر كيف أخذهم هاذم اللذات، وكيف صرعهم في الحفر المظلمات، وكيف أخرجهم من الدور ومن العمار ومن القصور... أكلوا وشربوا، واستأنسوا ولبسوا، وضحكوا، وركبوا السيارات الفاخرة، وتقلدوا المناصب، وسعدت بهم المواكب، ورفعوا البيوت وحُفَّت بهم الجنود، واحتشدت عليهم الأنام وارتفعت على رؤوسهم الأعلام، ثم سلبوها جميعاً ودفنوا هناك، فالله المستعان.

ومما يذكر الموت وبقاء الموت: مجالسة الصالحين والاستئناس بزيارتهم وطلب النفع والفائدة منهم. وأصلح الصالحين طلبه العلم الشرعي وطلبة الكتاب والسنة، فإنهم على بصيرة، وهم من أصلح العباد، ويكون ذلك بحضور مجالسهم ودروسهم ومحاضراتهم وسماع كلامهم وزيارتهم والدعاء لهم وحبهم في الله وهي العروة الوثقى ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

يقول الشافعي:

أحبُّ الصالحين ولست منهم لعلِّي أنال بهم شفاعة  
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة  
فإذا علم ذلك فهذا يدعو للاستعداد لسكرات الموت.

الثاني: تدبر القرآن، ومعايشة القرآن، وحفظ ما استطاع من القرآن والعمل بالقرآن.

يقول أحد الصالحين: قرأت الرقائق والمواعظ فما وجدت كتدبر القرآن.

والقرآن إذا صادف قلوباً واعية كان له أثر كبير... ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً

لأصحابه»<sup>(١)</sup>، ويقول عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: قَصَرَ الأمل، يقول ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح البخاري: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»<sup>(٣)</sup>... وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك.

فيا أيها المسلمون... بادروا بالتوبة النصوح إلى الله تعالى ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فلا يستعد للموت إلا من بادر بالتوبة وجددها.

حضرت الوفاة الأعمش المحدث الكبير فبكى أبناؤه فقال: لا تبكوا علي، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإحرام مع الإمام ستين سنة!

وقال سعيد بن المسيب وهو في سكرات الموت: الحمد لله، ما أذن المؤذن أربعين سنة إلا وأنا في مسجد الرسول ﷺ.

فهؤلاء النفر كانوا يستعدون للموت بالأعمال الصالحة وبالتوبة النصوح صباحاً ومساءً.

وعامر بن ثابت بن الزبير كان يسأل الله الميتة الحسنة، فلما سئل عنها قال: أن يتوفاني الله وأنا ساجد. فصلّى المغرب يوماً فقبضه الله وهو في السجود في الركعة الأخيرة، فطوبى لهم من قوم صالحين.

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن رقم (٢٥٢)/(٨٠٤).

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم (٥٠٢٧).

(٣) رواه البخاري في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا...» رقم (٦٤١٦).

وأما الغافلون فإنما يموتون على لهوهم ومعاصيهم، وقد ذكر العلماء نماذج من نهاياتهم المحزنة.

فأحدهم مات وهو يردد إحدى الأغاني لمطربة مشهورة وأبى أن يقول الشهادة، نسأل الله العافية.

وآخر يقولون له: قل لا إله إلا الله، فيقول: ٥×٦ تساوي كم؟ فيعيدون عليه فيعيد قوله إلى أن مات.

ولذلك من شبَّ على شيء شاب عليه، ومن أكثر من شيء مات عليه، وهذا مشاهد. فعليكم أحبتي بالإكثار من قراءة القرآن والذكر بأنواعه لعلَّ الله أن يتوفاكم عليها.

أسأل الله أن يثبتني وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.



## كفى بالموت واعظاً

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا... من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له... وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

يقول الحافظ الحكمي رحمه الله:

والموت فاذكره وما وراءه	فمنه ما لأحدٍ وراءه
وإنه للفيصلُ الذي به	ينكشف الحال فلا يشتبه
والقبرُ روضةٌ من الجنانِ	أو حفرةٌ من حفر النيرانِ
إن يك خيراً فالذي من بعده	أفضل عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فما بعدُ أشدّ	ويلٌ لعبدٍ عن سبيل الله صدّ
تالله لو علمت ما وراءك	لما ضحكت ولأكثر البكا

عباد الله... يمرُّ الإنسان في قافلة الموت... ويتذكر هذا المصير المحتوم... وهذه الساعة المقضاة من الله على ابن آدم... ساعة الموت التي يذل فيها الجبار... ويذعن فيها العاصي... ويعود فيها المتمرّد... ويتوب فيها المذنب.

ساعة الموت الساعة الأليمة التي يمر بها الملك والمملوك... والرئيس والمرؤوس... والغني والفقير.

وكان من الجميل بنا أن نذكر بعض قصص المحتضرين... وأخبارهم وأنباءهم... لعلنا أن نتذكر هذا المصارع الذي لا يفوتنا أبداً، وسوف نمرب به ولو طالت أعمارنا ولو تمتعنا بالشباب والصحة... ولو ملكنا السيارات والعمارات... ولو سكنا في الشقق الفاخرة... ولو لبسنا الثياب الوثيرة الجميلة... ولو تمتعنا بالمطاعم وجلسنا على الموائد... وتزاورنا وضحكنا كثيراً.

سوف تمر بنا هذه الساعة التي تُنسي ما قبلها والتي يتذكر فيها الإنسان حسابه مع الله... ماذا فعل؟ ماذا قدم؟ ماذا عمل بتلك الساعات التي أفناها في القيل والقال؟ وفي اللهو واللعب؟ وفي مرافقة أقران السوء؟

ولو نجا أحد من الناس من ساعة الموت تلك لكان الواجب أن ينجو محمد ﷺ... ولكنه والله ما نجا... فقد مرّ بها كما يمر بها الإنسان العادي... ووقف معها كما يقف الإنسان العادي... وهو أشرف الخلق على الله تبارك وتعالى... وهو أكرم الناس على رب الناس... لكنه تلقاها برحابة صدر لأنه أحسن العمل مع الله.

يروى البخاري ومسلم أنه لما احتضر ﷺ وضع خميصة - قطعة قماش - على وجهه الشريف من شدة الكرب وهو يقول: «لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... لا إله إلا الله إن للموت لسكرات... اللهم أعني على سكرات الموت... اللهم خفف عليّ سكرات الموت».

تقول عائشة: بأبي هو وأمي... والله إنه كان يضعها في الماء ثم يضعها على وجهه ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»<sup>(١)</sup>... ثم يقول ﷺ وهو في السياق... «بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ١١.

(٢) سبق تخريجه ص ١٢.

وقال الصحابة: إنما قال ذلك ﷺ لأنه خَيْرَ بَأْنٍ يُمدَّ له في عمره وأن يُنسأ له في أجله أو يلقي ربه.

فقال: «بل الرفيق الأعلى»... أي الآن أريد اللقاء... الآن أريد الرحيل من هذه الدنيا... الآن أريد الموت في هذه الساعة... لأنه يعلم ﷺ أنه مهما طال عمره ومهما امتد أجله فإنه سوف يلقي هذا المضرع.

● وقف موسى عليه السلام فقال: «يا ربي أريد عمراً طويلاً».

قال الله سبحانه وتعالى: «يا موسى اختر ما شئت»، فجاء ملك الموت إليه ليقبض روحه بعد هذا العمر الطويل فضربه موسى عليه السلام ففقأ عينه.

فعاد ملك الموت إلى الله فقال: أرسلتني لعبدٍ لا يريد الموت ففقأ عيني.

فردَّ الله عليه عينه، وعاد ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه وقال له: يا موسى تمنّ ما شئت من العمر.

قال: «ثم ماذا؟» قال: ثم تموت.

قال: «الآن إذن!» فقبض روحه.

● ونوح عليه السلام سئل قبل موته: كيف رأيت الحياة بعد هذا العمر الطويل؟

فقال: رأيت كأنني دخلت بيتاً له بابان... دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

ولذلك يقول أبو العتاهية:

نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح لتموتن وإن عُمّرت ما عُمّر نوح

● روى أهل السير أن أبا بكر رضي الله عنه لما احتضر دخلت عليه ابنته عائشة فسلمت عليه وبكت طويلاً ونظرت إليه.

ثم قالت: صدق الشاعر يا أبتاه إذ يقول:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ  
فالتفت إليها وقال: «كذب الشاعر وصدق الله»، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ  
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

● دخلوا على معاوية رضي الله عنه في الموت وهو على سرير  
الملك... وهو في دمشق، فلما أتاه الموت قال: أنزلوني على  
التراب.

فقالوا: يا خليفة المسلمين ويا أمير المؤمنين السرير أرفق بك.

قال: أنزلوني لا أبا لكم!!

فلما وضعوه في التراب كشف البساط ووضع خده وبكى طويلاً  
على التراب وقال: صدق الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْشَوْنَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ  
لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٍّ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ [١٦] [هود: ١٥، ١٦]، فقد نسي كل شيء، نسي جيشه وجنده  
وملكه وقصوره وانتهى به الأمر إلى هذا الموقف وإلى هذا المصير  
المحتوم.

● عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي لما حضرته الوفاة بكى  
طويلاً وقال: يا ويلتاه! ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٤].  
يا ليتني كنت غسلاً... فبكى الناس حوله من كلامه هذا.

فلما بلغ كلامه سعيد بن المسيب رحمه الله قال: الحمد لله الذي  
جعلهم يفرون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم.

لأنهم لا يستيقظون إلا وقت الموت ولا يتنبهون إلا في هذه  
الساعة.

ولذلك الذكي كل الذكي الذي يُعدّ لهذه الساعة ولا يغتر بالشباب ولا بالصحة.

• خرج عمر رضي الله عنه على المسلمين يوم الجمعة فصلّى بهم ثم بكى في الخطبة بكاءً عظيماً... ثم قال: أيها الناس... إني رأيتُ في منامي أن ديكاً رومياً ينقرني ثلاث نقرات، وقد عرضت هذه الرؤيا على أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر فأخبرتني أن رجلاً من (الموالي) سوف يطعنني ثلاث طعنات، فإذا أنا طُعنْتُ فالله خليفتي عليكم وأوصيكم بُتقوى الله وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه... ونزل رضي الله عنه.

وعاد في فجر يوم السبت ليصلي بالناس، وكان من هديه رضي الله عنه أن يقرأ سورة يوسف فابتدأ فيها حتى بلغ قوله تعالى حكاية عن يعقوب ﴿وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، فضجّ بالبكاء رضي الله عنه وقطع صوته في القراءة وبكى الناس خلفه، ولما ركع تقدم إليه ذاك المارد الفاجر أبو لؤلؤة المجوسي بخنجره الذي يحمله وطعنه ثلاث طعنات.

فلما طُعن قال: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... ثم هوى صريعاً في المحراب شهيداً في سبيل الله تبارك وتعالى.

وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فأكمل الركعة الثانية وصوته يتقطع بالبكاء لأنه علم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد يودّع الحياة.

وفرّ أبو لؤلؤة وأخذ في طريقه يطعن الناس يَمَنَةً وَيَسْرَةً حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً... مات منهم سبعة وبقي ستة جرحى.

وتقدم ابن عباس رضي الله عنهما فقال لعمر وهو على فراش الموت: السلام عليك يا أمير المؤمنين... فيقاطعه عمر ويقول: لستُ

للمؤمنين بأمر... إنني أصبحت من أهل الدار الآخرة اليوم.

فيقول: السلام عليك يا أبا حفص... والله لقد أسلمت فكان إسلامك نصراً لله ولرسوله وللمؤمنين... وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً... وتوليت فكانت ولايتك عدلاً.

فبكى عمر رضي الله عنه من هذه الكلمات وقال: إليك عني يا ابن عباس، والله لوددت أني أخرج من الدنيا كفافاً لا لي ولا علي.

ثم تقدّم علي بن أبي طالب عليه رضوان الله... فقال: السلام عليك يا أبا حفص، والله لقد كنت أسمع رسول الله ﷺ في حياته يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر... ودخلت أنا وأبو بكر وعمر... وذهبت أنا وأبو بكر وعمر»<sup>(١)</sup>. فأسأل الله عز وجل أن يحشرك مع صاحبك.

فبكى عمر ثم قال للناس: أيها الناس أستودعكم الله... أوصيكم بتقوى الله... الصلاة الصلاة... فأُتي له بلبن فشرب فخرج من جنبه رضي الله عنه وأرضاه.

تقدم إليه شاب ليعزيه... وكان هذا الشاب مطيلاً لثوبه يجرّ إزاره في الأرض... فسلم على عمر رضي الله عنه وقبّل رأسه.

وقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين... أحسن الله عزاءك في نفسك.

فقال عمر: يا ابن أخي... ارفع إزارك!

يوصيه برفع الإزار وبتقصير الثوب في تلك الساعة.

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً...» رقم (٣٦٧٧).

وفي باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم (٣٦٨٥).

ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك.

فقال الشاب: جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فيقول عمر: بل جزى الله الإسلام عني خير الجزاء. ثم قبض رضي الله عنه.

● معاذ بن جبل رضي الله عنه... أتته سكرات الموت مع الفجر... فقال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار... اللهم إنك تعلم أنني لم أحب الحياة لغرس الأشجار ولا لجري الأنهار ولا لعمارة الدور ولا لبناية القصور... لكني والله كنت أحب الحياة لثلاث خصال:

لمكابدة الهواجر، أي صيام الأيام الحارة.

ولقيام الليل.

ولمزاومة العلماء في حلق الذكر.

أما نحن لو سئلنا لقلنا: كنا نحب الحياة لنزور فلاناً وعلاناً، ونركب السيارة الفاخرة، ونسكن في الشقة الوثيرة، ولنتمتع بالمطاعم والملابس، ولنتقلد المناصب، ولنجمع الأموال، ولنعتد بالأولاد... هذه حياتنا التي لا تختلف عن حياة البهائم... إلّا في أننا ننطق ونعرف ونتكلم.

لذلك واجب علينا أن نعود إلى السلف الصالح لندرس حقيقة الموت وفلسفة الموت معهم... كيف استعدوا للموت... وكيف عاشوا مع الموت.

● روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة في مضر حوّل وجهه إلى الحائط وبكى بكاء طويلاً.

فجاء ابنه عبدالله الزاهد العابد فقال: يا أبتاه ما لك تبكي؟ وأراد

أن يحسن ظنه بالله عز وجل... يا أبتاه أما صحبت الرسول ﷺ...  
أما ولأك غزوة ذات السلاسل... أما مدحك... أما صحبت أبا بكر  
وعمر... أما فتحت مصر... أما جاهدت... أما فعلت؟

فلما طال كلام عبدالله ابنه... وطال بكاء عمرو التفت عمرو  
إلى الناس... فقال: أيها الناس إني عشت حياتي على طباق ثلاثة  
وسوف أعرضها لكم.

كنت في الجاهلية لا أعرف الإسلام وكان أبغض الناس إليّ  
رسول الله ﷺ... والله لو تمكنت منه لقتلته غيلة... ولو متُّ على  
تلك الحالة لكنت من أهل النار.

ثم رزقني الله الإسلام... فهاجرت من مكة إلى المدينة...  
فأتيت رسول الله ﷺ وهو في مسجده، فلما رأيته هشَّ وبشَّ في  
وجهي بأبي هو وأمي، واستقبلني وقال: حيها يا عمرو.

قال: فصحبته وأحسن صحبتته، والله ما كنت أملأ نظري  
منه ﷺ حياءً منه، والله لو سألتُموني الآن أن أصفه لكم لما استطعت،  
فيا ليتني مت على تلك الحالة.

ثم تخلفت بعده ﷺ فلعبت بي الدنيا ظهراً لبطن... فوالله لا  
أدري هل يؤمر بي إلى الجنة فأنا من السعداء أو يؤمر بي إلى النار فأنا  
من الأشقياء... لكنَّ والله ما أستعد بعمل إلاَّ بشهادة أن لا إله إلاَّ الله  
وأن محمداً رسول الله... ثم قبض يده هكذا على لا إله إلاَّ الله.

قال ابنه عبدالله: فأتينا لنغسله وفتحنا أصابعه فما استطاعت أن  
تفتح وبقيت مضمومة... قال: فأدخلناه في كفيه وأصابعه مضمومة،  
وأدخلناه في قبره وأصابعه مضمومة... رضي الله عنه وأرضاه.

فالعدة كل العدة أن تستعد لهذا المصراع... والحزم كل الحزم  
أن تحفظ وقتك وأن تستعد بعمل صالح لهذا المصراع.

● كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى إذا جلس مع الناس يجلس قليلاً وهو يستبَح ثم ينتفض وإذا هو واقف.

فيقولون له: ما لك يا أبا سعيد؟ قال: والله لقد ذكرت الموت.

أشاب الصغير وأفنى الكبير      كَرَّ الغداة ومَرَّ العشي  
إذا ليلة هَرَمَتْ يومها      أتى بعد ذلك يوم فتي  
نروح ونغدو لحاجاتنا      وحاجة من عاش لا تنقضي  
تموت مع المرء حاجاته      وتبقى له حاجة ما بقي

ولذلك يقول الذهبي: كان سبب موت سفيان الثوري أن ذكرى الموت فتت كبده حتى عُرض على الطبيب فقال: هذا رجل لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام!

قرأ سورة ألهاكم التكاثر بعد صلاة العشاء فبقي يرددها ويبكي حتى الصباح... كان يبكي أهله وجيرانه من بكائه رضي الله عنه وأرضاه... لأنه علم علم اليقين بالموت.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ [التكاثر: ٥]، لأن علمنا الآن في الآخرة علمٌ ظني ليس علم يقين... ندري أننا سوف نموت... وندفن الأجداد والآباء والأمهات والإخوان... لكنه علم ظني وعلم نظري ما تعمق في قلوبنا... ولو تعمق في قلوبنا لكنا أقبلنا على الله وتجرّدنا إلى الله وأتينا بهمة وعزيمة إلى الله... وحفظنا أوقاتنا مع الله.

● ميمون بن مهران... الزاهد العابد التابعي حفر قبراً في حظيرته بجانب داره، وسوّاه وجعل فيه صفائح ثم جلس فيه... فإذا ضاق به الحر والظلام خرج مفزعاً من الحفرة (القبر) ثم بكى بكاءً طويلاً وقال لنفسه: يا ميمون قد خرجت من القبر فاعمل عملاً صالحاً.

وبعضهم كان يأتي بكفن ويعلقه في سقف بيته... فكلما أصبح نظر إلى الكفن وبكى ليتذكر الموت.

### ● أسباب تذكر الموت:

من أسباب تذكر الموت أمور سوف أخصها لكم في ثلاثة أسباب:

**السبب الأول:** أن تزور القبور... وأن تكثر من زيارتها فلا تلهك الأسواق عن زيارة القبور ولا المعارض ولا القصور ولا الدور ولا الحفلات ولا الأشجار والحدائق.

اجعل زيارة واحدة للقبور ثم قف قليلاً وتذكر... أين زملاؤك الذين عاشوا معك؟... أين الذين عرفتهم وعرفوك؟... أين الذين ضاحكتهم وضاحكوك؟

عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الخليفة الزاهد صلى العيد بالناس وخرج رضي الله عنه، فلما مرَّ بالمقبرة وقف وبكى بكاء طويلاً... ثم قال: يا أيها الناس هذه قبور أجدادي وآبائي وإخواني... وجيراني.

أتدرون ماذا فعل بهم الموت؟

ثم بكى طويلاً... فقال الناس: ماذا فعل يا أمير المؤمنين؟

قال: يقول الموت: إنني فقأت الحدقتين، وأكلت العينين، وفصلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والقدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، وفصلت كل شيء على حدة!

ثم بكى فبكى الناس جميعاً البار والفاجر.

هذه المواعظ التي تعطيك دروساً لا تنساها أبداً، فلا بد أن تقف

عند المقبرة ولو مرة في الأسبوع لتتذكر أباك وعمك وخالك وأمك وجدتك، تتذكر من صرعوا بهذا المصرع.

**السبب الثاني:** أن تقرأ كتاب الله بتدبر فتبأكي إذا لم تبك.

يقول عمر: إذا لم تبكوا فتباكوا.

اقرأ وقف قليلاً وتدبر لعل الله سبحانه وتعالى أن يرزقك إنابة وأن يعيدك إلى حربه.

**السبب الثالث:** صحبة الصالحين... ففي الجلوس معهم تنزل الرحمات من السماء وتحفك السكينة ويغشاك الله بفضل من رحمته ويذكرك الله فيمن عنده. فيذكرونك بالموت وبالحياة الأخرى... ولا يلهونك عنهما بلهو أو لعب كغيرهم من الجلساء غير الصالحين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبدل حالنا بأحسن منها، وأن يردنا إليه رداً جميلاً، وأن يتولانا فيمن تولى، وأن يحلينا بالإيمان وبحلיתי اليقين والإحسان، وأن يذكرنا المصير المحتوم وأن يجعلنا ممن يستعد له الاستعداد الطيب، وأن يحفظ علينا أوقاتنا وأعمارنا وحياتنا.

إنه القادر على ذلك وحده... وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



## إذا وضعت في الحفرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . بعثه  
الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .  
أول ليلة في القبر بكى منها العلماء وشكا منها الحكماء ، ورثى  
إليها الشعراء أنفسهم ، وصنفت فيها المصنفات .  
فهي ليلة موحشة مخوفة . قد أعد لها الصالحون قديماً وحديثاً العدة  
وشحنوا أنفسهم لملاقاتها . . . فتنوعت عواطفهم تجاهها وتباينت مشاعرهم  
حولها . وسنستمع إلى شيء من أخبارهم في ذلك . . . لعل الله أن ينفعنا  
بتلك الأخبار ويهون علينا هذه الليلة . ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾  
[يوسف : ١١١] .

١ - أحد الصالحين لدغته حية ، في سفر نسي قبله أن يودع أمه  
وأباه وأطفاله وإخوته . . . فقال قصيدة يلفظها مع أنفاسه هي أم المراثي  
العربية في الشعر العربي . يقول وهو يزحف إلى القبر :  
فلله دري يوم أترك طائعاً بني بأعلى الرقمتين وداريا  
يقولون لا تبعد وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا  
يقول : كيف أفارق أطفالي في لحظة؟ ولماذا لم أستاذن أبوي في  
هذا الرحيل؟

أهكذا تُختلس الحياة؟ أهكذا أذهب؟ أهكذا أفقد ممتلكاتي ومقدراتي في لحظة؟

ويقول: يقول لي أصحابي والذين يتولّون دفني: لا تبعد أي لا أبعدك الله، وأين مكان البعد إلا هذا المكان، وأين الوحشة إلا في هذا المنقلب، وأين المكان المظلم إلا هذا المكان.

فهل تصوّر متصوّر ذلك الوضع الغريب عليه وقد قيل له ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠) [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

كلا! لقد رُفض طلبك وخاب ظنك. الآن تراجع حسابك، الآن تتوب، الآن تنتهي عن المعاصي؟

فأين كنت قبل هذه الليلة. اللهم ارحمنا!

٢ - قال الذهبي مؤرخ الإسلام: مات الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم وكان في ريعان الشباب.

فذهبوا به إلى المقبرة فوجدت عليه امرأته، وحزنت عليه حزناً لا يعلمه إلا الله. فأخذت أطفالها وضربت خيمة حول القبر، وأقسمت بالله لتبكيه هي وأطفالها سنة كاملة، وظلت في هلع عظيم، وحزن بائس، وبقيت تبكي.

قلت: وهذا عمل خاطيء مخالف للمشروع، وهو عمل مردود غير مقبول.

فلما وُقت سنة أخذت أطناب الخيمة وحملتها وأخذت أطفالها في الليل، فسمعت هاتفاً يقول لصاحبه في الليل: هل وجدوا ما فقدوا؟

فرد عليه الهاتف الآخر فقال: لا... بل يسوا فانقلبوا.

فلم يكلمهم ميتهم من القبر، ولم يخرج إليهم ولو ليلة واحدة، ولم يُقبل أطفاله، ولم ير زوجته وعشيرته.

كنز بحلولان عند الله نطلبه خير الودائع من خير المؤدينا

فإن كان المرء من المحسنين قيل له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾ [الطور: ٢١].

٣ - نحنُ في أبها فقدنا شابين اثنين من أسرتين من أسر أبها وقع لهما حادث انقلاب أثناء سيرهما في طاعة الله. فكانت اللوعة والحزن الشديد عليهما، ولكن عزاؤنا في الله أنهما كانا شابين صالحين مستقيمين على أمر الله.

أما أحدهما: فكان مصاحباً للقرآن، والقرآن رفيقه، والرسول ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً»<sup>(١)</sup>.

هذا الشاب كان يختم القرآن كل سبعة أيام، بل قالت أمه وأبوه: إنه كان يقوم الليل.

فلذلك خفت المصيبة لأنه قدم على قبر هو روضة من رياض الجنة إن شاء الله.

وأما زميله الآخر فمستقيم على أمر الله، لا يعرف إلا المسجد والمصحف والرفقة الصالحة، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. فنسأل الله أن يجعل ليلتهما في القبر ليلة أنيسة منورة... جزاء بما عملوا من تلكم الصالحات.

٤ - أتى أبو العتاهية يقول لسلطان من السلاطين غرته قصوره

وجنوده وملكه وجاهه فلم يتذكر أول ليلة ينزل فيها القبر:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور  
يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور  
أي عش ألف سنة... عش مليون سنة سالماً... معافى...  
مشافى، يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور، فكل ما تريد من  
طعام وشراب ولذة هو عندك... ولكن:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشجة الصدور  
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور!  
فبكى السلطان حتى أغمي عليه لما تذكر هول أول ليلة في  
القبر. فما أثقلها من ليلة!

٥ - خرج ﷺ إلى تبوك، وفي ليلة من الليالي نام هو وأصحابه  
وكانوا في غزوة في سبيل الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه:  
قمت في الليل فنظرت إلى فراش الرسول ﷺ فلم أجده في فراشه،  
فوضعت كفي في فراشه فإذا هو بارد، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم  
أجده على فراشه. فالتفتُ إلى فراش عمر فما وجدته، وذلك وسط  
الليل.

قال: وإذا بنور في آخر المخيم في طرف المعسكر، فذهبت إلى  
ذلك النور فإذا قبر محفور والرسول ﷺ قد نزل في القبر وإذا بجنازة  
معروضة للدفن لميت قد سُجي في الأكفان، وأبو بكر وعمر حول  
الجنازة والرسول ﷺ في القبر.

فدمعت عيناه ﷺ... ثم التفت إلى القبلة ورفع يديه وقال:  
«اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه».

قلت: من هذا؟

قالوا: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين، مات في أول الليل.

قال ابن مسعود: فوددت والله أن أكون أنا الميت<sup>(١)</sup>.

لأنه إذا رضي الله عن العبد أسعده في الدنيا والآخرة... وأنسه في ليلته الأولى في القبر.

٦ - كان عمر بن عبدالعزيز أميراً من أمراء الدولة الأموية يُغَيَّر الثوب في اليوم أكثر من مرة.

وعنده المال والخدم والقصور، والمطاعم والمشارب وكل ما اشتهى وكل ما طلب وكل ما تمنى.

فلما تولّى الخلافة وتقلّد ملك الأمة الإسلامية انسلخ من ذلك كله لأنه تذكر أول ليلة في القبر.

وقف على المنبر يوم الجمعة، وقد بايعته الأمة وحوله الأمراء والوزراء والشعراء والعلماء وقوّاد الجيش فقال: خذوا بيعتكم. قالوا: ما نريد إلاّ أنت، فتولاها. فما مرّ عليه أسبوع أو أقلّ إلاّ وقد هزل، وضعف وتغير لونه... ولم يكن عنده إلاّ ثوب واحد.

فأراد المسلمون أن يعرفوا سبب ضعفه الذي بدا ظاهراً عليه فجأة فقالوا لزوجته: ما لعمر قد تغير؟

قالت: والله ما ينام الليل، والله إنه ليأوي إلى فراشه فيتقلّب كأنه نائم على الجمر، ويقول: آه لقد توليت أمر أمة محمد ﷺ وسوف يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين والطفل والأرملة.

يقول له أحد العلماء: يا أمير المؤمنين لقد رأيناك قبل أن تتولى الملك وأنت في مكة في نعمة وفي صحّة وفي عافية، فما لك قد تغيّرت؟

(١) قال الهيثمي (٣٧٢/٩): رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد وهو متروك.

فبكى حتى كادت أضلاعه أن تختلف ثم قال للعالم وهو ابن زياد: كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام، يوم أجرد من الثياب، وأوسد التراب، وأفارق الأحباب، وأترك الأصحاب؟ كيف لو رأيتني بعد ثلاث؟ والله لرأيت منظراً يسوؤك... فنسأل الله حسن العمل.

والله لو عاش الفتى في عمره ألفاً من الأعوام مالك أمره متنعماً فيها بكل لذيذة لا يعتريه الهم طول حياته ما كان ذلك كله في أن يفي بالقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار<sup>(١)</sup>.

٧ - كان عثمان بن عفان الخليفة رضي الله عنه وأرضاه إذا شيع جنازة بكى حتى يُغمى عليه فيحملونه كالجنازة إلى بيته فيقولون: ما لك؟

فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منازل الآخرة»<sup>(٢)</sup>، فإذا فاز العبد فيه أفلح وسعد، وإذا خسر والعياذ بالله فإنه يخسر آخرته كلها.

والقبر إما روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران. يقول الشاعر:

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، رقم (٢٤٦٠) لكن الحديث ضعيف، لضعف عبيد الله بن الوليد الوصافي، كما في التقريب لابن حجر. وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٩٩٠).

(٢) رواه أحمد في المسند ١: ٦٣.

قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند ١: ٢٢٥: إسناده صحيح.

والقبر روضة من الجنان      أو حفرة من حفر النيران  
 إن يك خيراً فالذي من بعده      أفضل عند ربنا لعبده  
 وإن يك شراً فما بعد أشد      ويل لعبد عن سبيل الله صد  
 ويقول شاعر آخر:

أتيت القبور فناديتها      أين المغمّظ والمحتقر  
 تفانوا جميعاً فما مخبر      وماتوا جميعاً ومات الخبر  
 فيا سائلي عن أناس مضوا      أما لك فيما مضى معتبر  
 تروح وتغدو بنات الثرى      فتمحو محاسن تلك الصور  
 فهل رأيت قبراً مميزاً عن قبر؟ وهل أنزل العظيم في قبر من  
 ذهب أو فضة؟

والله... لقد ترك ملكه وقصوره، وجيشه، وكل ما يملك،  
 ولبس قطعة من القماش كما نلبس وأنزل في التراب.

ولدتك أمك يابن آدم باكياً      والناس حولك يضحكون سرورا  
 فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا      في يوم موتك ضاحكاً مسرورا  
 ٨ - خرج رجل من الصالحين (أعرفه) من مدينة الرياض متوجهاً  
 إلى مكة مع زوجته وكانت صائمة، قائمة، وليّة من أولياء الله  
 الصالحين.

خرج يريد العمرة، ولكن قبل السفر ودعت الزوجة أطفالها...  
 وكتبت وصيتها وهي تبكي كأنه ألقى في خَلْدِها أنها ستموت ﴿ثُمَّ رُدُّوا  
 إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنعام: ٦٢]،  
 فتعجب الزوج من حال زوجته.

ثم ذهب واعتمر هو وإياها ثم أراد العودة إلى الرياض.

وفي الطريق جاء الأجل المحتوم إلى زوجته ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥].

لقد انفجر إطار السيارة... فانقلبت بهم ووقعت المرأة على رأسها وتوفيت في الحال... لكنها إن شاء الله شهيدة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

فخرج زوجها من الباب الآخر للسيارة، ووقف عندها وهي في سكرات الموت تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله... الله... الله!

وتقول لزوجها: عفا الله عنك، اللقاء في الجنة... بلغ أهلي السلام.

ثم لفظت أنفاسها. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].  
أسأل الله أن يجعل أول ليلة لهذه المرأة في القبر سروراً وحبوراً، وأن يجمع تلك الأسرة في الجنة وأن يجمعنا وأحبابنا وأقاربنا في الجنة، إنه هو الحليم الرحيم.

بنتم وبناً فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا  
نكاد حين تناديكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا  
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاتكم ويكفينا  
فيا أخي في الله... هل استعددت لأول ليلة في القبر؟

ويا شاباً صحيحاً متنعماً غره الشباب والمال والفراغ هل أعددت لأول ليلة في القبر؟

إنها أول الليالي في عالم الآخرة، وإنها إما أول ليلة من ليالي الجنة... أو أول ليلة من ليالي النار...

أسأل الله لي ولك أخي المسلم ولكل المسلمين الرضوان والسعادة في الدنيا والآخرة، ونرجوه سبحانه أن يمنَّ علينا برحمته ويدخلنا فسيح جناته، إنه على كل شيء قدير.



## زوروا القبور

الحمد لله القائل: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا تُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ ۱٠١ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ۱٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ ۱٠٣ تَلَفَحَ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۝ ۱٠٤﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٤].

والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفر النار»<sup>(١)</sup>.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، شهادة أَدَّخَرَهَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى يَوْمِ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ وَنَدَّخَرَهَا إِلَى يَوْمِ فِتْنَةِ الْفَتَانِ فِي الْقُبُورِ يَوْمَ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

أيها الناس ألا ترون أنكم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد ترك الأحباب وفارق الأصحاب ووُسد التراب... غنياً عما ترك... فقيراً إلى ما قدم...

انتهى أمله وأجله وعمله.

تبعه أهله وماله وعمله فعاد ماله وأهله وبقي معه عمله.

دُفن في التراب ففارق الأحبة والجيران وهجر الأصحاب والإخوان.

ما كأنه خرج مع من خرج، ولا كأنه ضحك مع من ضحك، ولا كأنه ارتاح مع من ارتاح.

فلما وُسد في تلك الحفرة أتى لبيح من عمله إما صالحاً وإما سيئاً: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُم مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

كان ﷺ أرحم ما يكون بالميت من المسلمين إذا مات.

وأشفق ما يكون بالميت من المؤمنين إذا مات.

لأن الميت أحوج الناس إلى الدعاء، وأحوج الناس إلى الرحمة.

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ

على جنازة رجل من الأنصار، فلما صففنا خلفه تخطيت الصفوف حتى

وقفت بجانبه ﷺ وهو يصلي على الجنازة فسمعتة ﷺ يبكي ويقول:

«اللهم اغفر له، اللهم اعف عنه، اللهم ارحمه، اللهم أكرم نزله ووسّع

مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه من الذنوب والخطايا كما

ينقى الثوب الأبيض من الدنس»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة رقم (٨٥، ٨٦)/(٩٦٣).

قال عوف: فوالله لو ددت أنني أنا الميت من حسن دعائه ﷺ، ومن شففته على أموات المسلمين.

بل كان ﷺ يذهب في الليل البهيم وفي الظلام الدامس فيقف على مقبرة أهل بقيق الغرقد في المدينة فيبكي بكاءً طويلاً ويدعو دعاءً طويلاً لأنهم أحوج ما يكونون إلى الدعاء وأحوج ما يكونون إلى الترحم، لأنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون.

كان ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]، يبكي رضي الله عنه وأرضاه حتى يُغمر عليه ثم يقول: اللهم لا تحل بيني وبين ما أشتهي.

قالوا: ماذا تشتهي؟

قال: أشتهي أن أقول لا إله إلا الله، فيحال بيني وبين لا إله إلا الله.

وأهل القبور حيل بينهم والله وبين لا إله إلا الله فلا يستطيعون أن يقولوها.

فهل سمعتم بميت يصلي في قبره؟

وهل سمعتم بميت يصوم في قبره؟

وهل سمعتم بميت يذكر الله في قبره؟

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] فعل بأشْيَاعِهِمْ من المجرمين ومن المنافقين وأشباههم من الفاسقين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤].

يقول مطرف بن عبدالله بن الشخير: كنت آتي كل ليلة جمعة إلى البصرة لأصلي الجمعة في البصرة، وكنت في طريقي أمرًا على أهل

القبور فأدعو الله لهم وأترحم عليهم، إلا ليلة من الليالي مررت فلم أقف لأن الجو كان بارداً، فدخلت بيتي ونمت فرأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً من أهل القبور يقول: يا مطرف حرمتنا دعاءك الليلة، والله إن الله لينور علينا قبورنا بدعائك ودعاء إخوانك من المؤمنين أسبوعاً كاملاً.

قال: فتوضأت وذهبت ودعوت الله لهم، فلما عدت كنت أقول في طريقي: لا إله إلا الله أقف بها في حشري... لا إله إلا الله أقضي بها عمري... لا إله إلا الله يغفر بها ربي ذنبي... لا إله إلا الله أدخل بها قبري.

فسمعت كأن قائلاً يقول: تزود يا مطرف من لا إله إلا الله، فوالله لقد حيل بيننا وبين لا إله إلا الله.

فدعاؤنا للأموات نور عليهم ورحمة تنزل عليهم.

يقول ﷺ: «إن الله ينور على أهل القبور قبورهم بصلاتي عليهم»<sup>(١)</sup> أي بدعائي لهم.

فيا عباد الله: تأملوا وتفكروا في تلك الحفر الضيقة وفي تلك الحفر الموحشة، في بيوت اللحود وفي بيوت الهوام والدود، هل لكم صبر عليها؟

يقول مجاهد رحمه الله: يقول القبر: أنا بيت الوحشة... أنا بيت الظلمة... أنا بيت الدود... أنا بيت مفارقة الأحباب ومضايفة اللحود...

فيا عباد الله: رحم الله امرأة أقدم من الصالحات لتلك الحفرة.

ورحم الله امرأة أعدت من الحسنات لذلك القبر.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب الصلاة على القبر رقم (٧١)/(٩٥٦).

ورحم الله امرأً حاسب نفسه قبل أن يوضع في مكان ضيق لا أنيس فيه إلا العمل الصالح، ولا حفيظ فيه إلا الله، ولا مجازي ولا محاسب إلا الحي القيوم.

يقول عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لجلّاسه: أرقت البارحة (أي سهرت) فلم أنم حتى الفجر.

قالوا: ما أسهرك يا أمير المؤمنين؟

قال: لما أويت إلى فراشي ووضعت لحافي عليّ تذكرت القبر وتذكرت الميت بعد ثلاث ليال حينما يتركه أهله وأحبابه وجيرانه وإخوانه، فيتغير ريحه وتتمزق أكفانه ويسري الدود على خدوده.

فليتك ترى يا فلان تلك الرائحة المتنتة بعد الطيب في الدنيا، وتلك الأكفان الممزقة بعد الثياب الجميلة في الدنيا.

نروح ونغدو لحاجاتنا      وحاجة من عاش لا تنقضي  
تموت مع المرء حاجاته      وتبقى له حاجة ما بقي

يقول علي رضي الله عنه وأرضاه: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس ﷺ على شفير القبر وجلسنا حوله، فنكس رأسه وأخذ ينكت الأرض بمخصرة في يده، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل من لحيته ﷺ، ثم قال: «أيها الناس والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(١)</sup>.

ووالله لو نعلم كما يعلم رسول الله ﷺ لضحكنا قليلاً وبكينا كثيراً، لكننا أكثرنا من الضحك وأقلنا من البكاء حتى قست قلوبنا

(١) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف رقم (١٠٤٤).

ورواه مسلم في الكسوف، باب صلاة الكسوف رقم (٩٠١)/(١).

بالمعاصي والشهوات وقست قلوبنا بالترهات، وقست قلوبنا بالبعد عن فاطر الأرض والسموات.

والله ينادينا سبحانه وتعالى فيقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران  
إن يك خيراً فالذي من بعده أفضل عند ربنا لعبده  
وإن يك شراً فما بعد أشد ويل لعبد عن سبيل الله صد

ويل لعبد لم يتها لتلك الحفرة.

ويل لعبد لم يتها لذلك القبر.

ويل لعبد لم يتها بالعمل الصالح.

ويل لمن صد عن سبيل الله.

ويل لمن قاطع بيوت الله.

ويل لمن هجر كتاب الله.

مرّ عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه فرأى المقبرة فبكى ثم توضأ فصلى ركعتين فقال له أصحابه: لم صليت الآن ركعتين؟

قال: تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَجِلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (سبا: ٥٤).

ولما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني ألبسني أكفاني وشدها علي فإني موضوع في قبري... إني أخاف إن قمت للفتان في قبري أن تسقط من على أكتافي.

فلما أته سكرات الموت بكى وحول وجهه إلى الحائط وهو من أصحاب الرسول ﷺ، ومن الذين فتح الله على أيديهم الفتوح.

فهو فاتح مصر ومدون دواوينها ومجنّد أجنادها.

فلما أتاها اليقين وأتته سكرات الموت بكى بكاءً طويلاً، فقال له ابنه يُحسّن ظنه في الله ويحسن رجاءه في الحي القيوم: يا أبتاه أنت من أصحاب رسول الله فلا تخف، أما فتحت مصر؟ أما جاهدت في سبيل الله؟ أما تقرّبت إلى الله؟

فالتفت إليه أبوه وهو يقول: يا بني لقد عشت حياتي على أدوار ثلاثة:

١ - كنت في الجاهلية قبل الإسلام وكان أبغض الناس إليّ رسول الله ﷺ، ووالله لو تمكنت منه لقتلته، فلو متّ على تلك الحال لكنك من حثي جهنم.

٢ - ثم أسلمت وأتيت رسول الله ﷺ في المدينة فلما رأيته رَحِب بي وهش وبش في وجهي.

فبسطت يدي لأبائعه فبسط يده، فلما بسط يده قبضت يدي فقال: ما لك يا عمرو؟

قلت: أشرت.

قال: تشترط ماذا؟

قلت: أشرت أن يغفر الله لي ذنبي.

فقال ﷺ، وهو يتبسم: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجب ما قبلها؟».

فوضعت كفي في كفه ويميني في يمينه وبائعته على لا إله إلا الله وأنه رسول الله.

فكنت معه إذا حلّ حللت معه، وإذا سافر سافرت معه، وإذا أقام أقمت معه، ووالله ما كنت أستطيع أن أملاً عيني من وجهه حياة منه.

ووالله لو سألتُموني الآن أن أصفه لكم ما استطعت أن أصفه.

ووالله ما كنت أنظر إليه إجلالاً له.

فلو مت على تلك الحالة لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

٣ - ثم تخلفت بعده فلعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، فوالله ما أدري هل يؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار؟ لكن عندي كلمة أحاج لنفسي بها عند الله هي (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ثم قبض أصابعه على هذه الكلمة العظيمة.

قال ابنه عبدالله: فلما أتينا لنغسله فتحنا كفه فانقبضت على لا إله إلا الله.

ولما جئنا ندخله في كفنه فتحنا يده فانقبضت على لا إله إلا الله.

فدخل في القبر بلا إله إلا الله ﴿يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَلْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أبداً غراب البين فيها ينعق	أبني أبينا نحن أهل منازل
جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا	نبكي على الدنيا وما من معشر
كنزوا الكنوز فلا بقينا ولا بقوا	أين الأكاسرة الجبابرة الألى
حتى ثوى فحواه لحد ضيق	من كل من ضاق الفضاء بجيشه
أن الكلام لهم حلال مطلق	خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا

يقول ابن عوف رضي الله عنه: خرجت مع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فلما وقفنا على مقبرة أهل بقيع الغرقد اختلس يده من يدي وكنت قابضاً على يده، ثم وضع نفسه على قبر وبكى بكاء طويلاً، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: يا ليت أُمِّي لم تلدني، يا ليتني كنت شجرة فأعضد...  
أنسيت يا ابن عوف هذه الحفرة؟

قال: فأبكاني والله.

فالله المستعان على ذاك المقام وعليه التكلان، ونسأله أن يثبتنا  
وإياكم يوم يثبت أهل طاعته فلا يُخذلون.

ويوم يثبت أهل البر من عباده فلا يزُلُّون.

ويوم يلهمهم رشدهم عند سؤال الفتان في القبور فينطقون بلا إله  
إلا الله.

أما الأموات فواجبهم علينا الزيارة والترحم والدعاء لهم، لأن الله  
سبحانه وتعالى ينور عليهم قبورهم بدعائنا لهم، فما أحوجهم إلى  
دعائنا، ولكن نحن لا نحتاج إلى أحد منهم فإنهم لا يملكون لأنفسهم  
ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والزيارة الشرعية أن يزور الرجل المسلم - لا المرأة - القبور  
ليتذكر الوقوف بين يدي الله ويتذكر العرض على الله ويزهد فيما سوى  
الله ويقلل متاعه من هذه الدنيا التي تشغله عن الله.

ولذلك ثبت عنه ﷺ أنه قال: «زوروا القبور فإنها تذكر  
بالآخرة»<sup>(١)</sup>. فالمقصود من زيارة القبور هو التذكير بالآخرة لا التوسل  
بأصحاب القبور كما يفعله الوثنيون المبتدعون المشركون في بعض  
البلاد الإسلامية، فإنهم يذهبون إلى تلك القبور وقد يكون أهلها من  
الصالحين فيتوسلون بهم إلى الله ويتبركون بتلك القبور.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم  
(١٠٨)/(٩٧٦) لكن بلفظ الموت بدل الآخرة.

ورواه ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم (١٥٦٩) بلفظ: «فإنها  
تذكركم الآخرة».

ومن يفعل هذا الفعل فهو من الذين قد حبط عملهم في الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا إلى الله ويراجعوا حسابهم مع الله.

وإذا سألتهم: لماذا تفعلون هذه الأفاعيل الشركية والوثنية والأمور الجاهلية؟

قالوا: نحن لا نعبدهم وإنما نتبرك بهم ونتوسل بهم إلى الله.

وهذا منطق أهل الجهل وأهل الشرك وأهل الوثنية، فإن الله يقول عنهم أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

ولذلك يقول ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»<sup>(١)</sup> ومعنى وثناً يعبد: أي يتوسل به ويتبرك به ويعتقد أنه ينفع أو يضر بعد موته.

هذا وهو رسول الله ﷺ، فكيف بغيره الذي ما بلغ مرتبته؟

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

فالذين يتوسلون بالقبور في أي بلد وفي أي مكان وفي أي زمان ويتبركون بالدعاء عندهم ويعتقدون نفع الأموات أو ضررهم، هؤلاء مُتَبَرِّ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

يقول ﷺ وهو في سكرات الموت وهو يُصارع الموت في آخر لحظة من لحظات الدنيا: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»، ثم

(١) رواه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة رقم (٨٥). والحديث عند مالك مرسل.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٢: ٢٤٦ دون لفظ «يعبد». قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند ١٣: ٨٦: إسناده صحيح.

يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup> يحذر منهم ﷺ ومن فعلهم.

ولقد وقع ما فعل أولئك الأمم من اليهود والنصارى في أمة محمد ﷺ، ففي كثير من البلاد الإسلامية اليوم تجد الجهلة يشركون بالله بتقربهم إلى القبور وتأثرهم بأصحاب القبور، فوقعوا في الغلو الذي وقع فيه من كان قبلهم، وكل هذا تحت سمع وبصر علمائهم هداهم الله.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَفَ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

فقاتل الله كل من اتخذ من دون الله إلهاً أو توسَّل بغيره سبحانه في جلب نفع أو دفع ضرر.

يقول ابن تيمية رحمه الله ما معناه: إن الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط هدى وتبليغ للرسالات عن الله إلينا، ولا نتوسط بهم في العبادات بيننا وبين الله.

فمن توسَّل بأحد أو تشفَّع به وهو ميت في قبره أو تبرَّك بالدعاء عند قبره فقد خسر عمله.

فالزيارة الشرعية أن نزور القبور لتذكرنا الآخرة وأن ندعو لأهل القبور بالرحمة كما دعا لهم ﷺ.

ومن أدب الزيارة أن لا نجلس على القبر فإنه منع ﷺ من

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ... رقم (١٣٩٠)، ورواه في كتب أخرى.

ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (١٩)/(٥٢٩).

الجلوس عليه، كما صح في صحيح مسلم قوله ﷺ: «لا تصلُّوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»<sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ في صحيح مسلم: «لأن أجلس على جمر فتحترق ثيابي فتنفذ إلى جسمي خير لي من أن أجلس على قبر»<sup>(٢)</sup>.

ومن آداب الزيارة ألا يصلي على القبور إذا زارها الزائر - أي صلاة الفريضة -، أما صلاة الجنازة فجائزة إلى شهر من دفنه إذا لم يصل عليه.

ومن الآداب عدم المرور على القبور والمشي عليها.

وكذلك واجب إزالة القبور المرتفعة وهدمها لما في صحيح مسلم أن علياً قال: «أرسلني رسول الله ﷺ أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته»<sup>(٣)</sup>. أي سويته بالأرض، بل يُرفع مقدار شبر فقط على الأرض ليعرف أنه قبر فلا يمتهن، وهذا هو السنة.

أسأل الله أن يجعلنا ممن يستعد لتلك القبور الموحشة بالعمل الصالح النافع.

وأن يجعلنا مقيمين لسنته ﷺ في حياتنا وبعد مماتنا عندما تكون قبورنا على طريقة أهل السنة لا البدعة. والله أعلم.  
وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.



(١) رواه مسلم في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه رقم (٩٨)/(٩٧٢).

(٢) رواه مسلم في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر... رقم (٩٦)/(٩٧١) لكن بلفظ: «لأن يجلس أحدكم...» الحديث بصيغة الغائب.

(٣) رواه مسلم في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم (٩٣)/(٩٦٩) بلفظ قريب.

## أحكام الموت وما بعده

الحمد لله رب العالمين وليّ الصالحين، ولا عدوان إلاّ على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

أيها الفضلاء الأخيار، عنوان هذه الأوراق «أحكام الموت وما بعده».

أيها الكرام: الموت مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢، ١].

ولقد وصل العلم إلى الذروة ولم يستطع أن يكتشف حقيقة الموت، ولا يدرون ما هو؟ ولا كيف يموت الإنسان ومتى يموت؟ وذلك لأن الله اختصه بعلمه سبحانه وتعالى.

والموت توعد الله به أعداءه فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨].

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لُبٍّ فرحاً.

والمعنى أن كل من انبسط وارتاح وسُرَّ بما عنده من مال وولد وما عنده من منصب ووظيفة إذا ذكر الموت تكدر.

دخل أحد الفضلاء إلى خليفة من الخلفاء العباسيين فقال الخليفة: أما ترى القصر؟

قال: رأيته.

قال: أما تراني؟

قال: رأيتك.

قال: أرايت جيشي؟

قال: رأيته.

قال: ماذا تقول؟

قال:

أنت نعم الخليل لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

ولقد لام عز وجل الذين غرّوا بمتاعهم ولعبهم فقال: ﴿وَسَكَنُكُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ٤٦﴾ [إبراهيم: ٤٥، ٤٦].

قال عدي بن زيد - وهو شاعر جاهلي - وقد خرج مع النعمان ابن المنذر قبل الإسلام، وكان عدي بن زيد هذا عاقلاً وقد أقسم وهو في الجاهلية أن لا يشرب الخمر أبداً، فلما جلس مع السلطان الملك النعمان أخذ السلطان يشرب الخمر، فقال له عدي بن زيد: أبيت اللعن - وهذه كلمة تقال للملوك بمعنى أستأذنك في الكلام ولا تغضب عليّ -، قال: قل.

قال: أتدري ماذا تقول هذه الشجرة التي بجانب الملك؟ وهي لا تتكلم، ولكن أراد هذا الشاعر أن يدخل بموعظة إلى السلطان. قال: لا أدري ماذا تقول؟

قال: تقول الشجرة:

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَخْلُطُونَ الْعَذْبَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ  
قَدْ مَضُوا حِينًا وَسَارُوا زَمَنًا ثُمَّ صَارُوا جِثًّا تَحْتَ الرَّمَالِ  
يقول: ألا تعتبر بأجدادك أصبحوا جثًّا وأنت تشرب الخمر، ألا تتفكر وتأمل؟

أيها الإخوة في الله: موضوع الموت وما بعد الموت والاستعداد للموت هو حديث الساعة. ذلك لأن الناس في هلع ورعب من الموت.

قال الله سبحانه وتعالى وقد أخبر رسوله ﷺ بالموت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)، وكتبه الله على الكائنات فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَيْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

والخلد حرام، لا يخلد من البشر أحد، وهو قول واحد بإجماع العقلاء من الناس قاطبة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

ولذلك فإن أعظم زاد يجب أن نتقدم به إلى الله تعالى هو زاد الإيمان، والبشرية الآن تبحث عن الإيمان، فالإلحاد الآن أصبح لا حقيقة له، أصبح كذباً، أصبح لعنة، أصبح لا قرار له، حتى رؤساء الإلحاد والشيوعية في العالم تبرؤوا من الإلحاد.

قال جوربتشوف رئيس الشيوعيين في العالم ورئيس الاتحاد

السوفيتي السابق في البروستريكا: إن الإلحاد خرافة، ولذلك اعتنق هو النصرانية وأثبت بعد الصفحة الخمسين من البروستريكا - يعني: إعادة البناء - أنه مسيحي لأنه وجد أنها كذب.

أما بالنسبة لأحكام الموت وما بعده فقد فصلها أهل السنة والجماعة في كتبهم، ونحن في حاجة إلى فقه الأحكام وما يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ومعنى الآية عند كثير من المفسرين: من رخاء إلى شدة، ومن نعيم إلى بؤس، ومن حياة إلى موت، فالله يداول الأيام.

السؤال الأول: يقول ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات»<sup>(١)</sup>، فما هو هاذم اللذات؟ وكيف تذكره؟ وما الفائدة من ذكره؟

والجواب: روى الترمذي والنسائي وابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات»، والحديث من رواية أبي هريرة (فما ذكر في قليل إلا كثره). وهازم اللذات: «بالذال» هو الموت، وهو الذي يهدم اللذة على العبد ويعكرها ويقطعها. واللذة كل ما تلذذ به من مال أو حسب أو نسب أو جاه أو منصب.

فقوله ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات» أي الموت، وزاد بعض الناس لكن لا تصح هذه الرواية: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وأخذ البنين والبنات». والجملتان الأخريان ليستا من كلامه ﷺ.

وأما قوله: فما ذكر في قليل إلا كثره، وذلك أن من يتذكر الموت دائماً يصبح القليل عنده كثيراً.

قال: «وما ذكر في كثير إلا قلله»<sup>(٢)</sup>، أي أن الكثير عند أهل

(١) سبق تخريجه ص ١٠.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠.

الأموال الكثيرة تقلُّ في عيونهم أموالهم يوم يذكرون الموت.

دخل أبو العتاهية على هارون الرشيد وكان هارون الرشيد في قصره والشعراء يهنتونه بقصرٍ افتتحه. فقال لأبي العتاهية: كيف رأيت القصر؟

قال: اسمع مني أبياتاً.

قال: ما هي؟

قال:

عش ما بدا لك سالماً في ظلِّ شاهقة القصور

قال: هيه - يعني زد -.

قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدوِّ مع البكور

قال: زد.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

هذا غرور أهل الدنيا وهو غرور يشبه غرور البهائم يوم يصدفون عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني: هل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؟ ومتى يجوز له أن يتمناه؟

والجواب: لقد نهى ﷺ المسلم أن يتمنى الموت، هذا من حيث الأصل وهو أصل متفق عليه.

ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال من حديث أنس: «لا يتمنين»

أحدكم الموتَ لضرٍّ نزل به، فإن كان مُحسناً فلعله يزداد إحساناً وإن كان مسيئاً فلعله أن يتوب»<sup>(١)</sup>.

فالأصل أن لا يتمنى الموت.

واعلم أن عُمر المؤمن لا يزيده إلاّ خيراً عند الله لحديث جابر عند مسلم: «المسلم لا يزد عُمره إلاّ خيراً»<sup>(٢)</sup>.

فالشاهد من ذلك أنه إذا أصابك ضرٌّ أو مرض فلا تتمنَّ على الله الموت.

وهناك مسألة ذكرها أهل السنة كصاحب الطحاوية وابن كثير والذهبي أن عمر - رضي الله عنه وأرضاه - لما حج في آخر حجة حجّها رفع يديه عند الجمرات وقال: اللهم إنها ضاعت رعيتي ورقّ عظمي ودنا أجلي فاقبضني إليك غير مُفَرِّط ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك.

والسؤال: لماذا تمنى عمر الموت؟ والرسول ﷺ لم يتمنّه.

(١) رواه البخاري في كتاب التمني، باب ما يُكره من التمني رقم (٧٢٣٥). وفي كتاب المرضي، باب تمنى المريض الموت رقم (٥٦٧١)، والدعوات (٦٣٥١). ومسلم في الذكر والدعاء، باب تمنى كراهة الموت، لضرٍّ نزل به رقم (١٠)/(٢٦٨٠) و(١٣)/(٢٦٨٢).

(٢) رواه أحمد في المسند ٦: ٢٣ بلفظ: «إن المؤمن لا يزيده طولُ العمر إلاّ خيراً» لكن في سنده: النهاس بن قهم.

قال الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف. وفي المسند أيضاً ٦: ٢٢: «ما عُمر المسلم كان خيراً له...» وهو ضعيف أيضاً لضعف النهاس.

وروى أحمد في المسند ٢: ٣١٦ من صحيفة همام بن مُتَبِّه عن أبي هريرة الحديث السابق الذي أخرجه البخاري ومسلم بلفظ قريب، وفي آخره: «وإنه لا يزد المؤمن عُمره إلاّ خيراً» قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند ١٦: ٧٧: وهذا حديث صحيح بصحة الصحيفة.

والجواب عند أهل السنة بجوابين:

**الجواب الأول:** لم يتمنَّ عمر الموت ولم يحدّد وقته، وإنما تمنى الشهادة في سبيل الله، وتمنى الشهادة مطلوب وهي من أفضل الأعمال، وقد قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»<sup>(١)</sup>. بينما تجد الرياء والسمعة إذا دخلا في العمل لا ينفع صاحبه حتى إذا قتل في الجبهة وهو مرء لا ينفع، بينما إذا صدّق وقُتل على فراشه فهو شهيد.

وعند أحمد في المسند بسند حسن: «ربّ قتيل بين الصّفين الله أعلم به»، وفي لفظ: «الله أعلم بنيّته»<sup>(٢)</sup>، فقد يكون مرئياً. وصحّ عنه ﷺ: أن أول من تُسعر بهم النار ثلاثة، منهم المجاهد الشهيد فيما يظهر للناس الذي قُتل في المعركة، قاتل رياء وسمعة ليُقال شجاع وقد قيل فيقال: خذوه إلى النار.

**والجواب الثاني:** أن الإنسان إذا تحقق أنه وقع في فتنة وأن الناس قد فُتنوا فله أن يطلب من الله أن يتوفاه، وقد دل على ذلك نصوص كإخباره ﷺ: «أن المؤمن في آخر الزمان من كثرة الفتنة يمرّ على القبور ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم في الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى رقم (١٥٧)/(١٩٠٩).

(٢) رواه أحمد في المسند ١: ٣٩٧. قال الشيخ أحمد شاكر في الشرح ٥: ٢٩٠: إسناده ضعيف، لإرساله.

(٣) رواه البخاري في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يُغَيِّطَ أهلُ القبور، رقم (٧١١٥) بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه»، ورقم (٧١٢١).

ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل رقم (٥٣، ٥٤)/(١٥٧).

**السؤال الثالث:** ما معنى المؤمن يموت بعرق الجبين؟ وهل عرق الجبين علامة عند أهل السنة أم لا؟

**الجواب:** صح عنه عليه السلام عند ابن حبان وأبي داود والنسائي والترمذي أنه قال: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**»<sup>(١)</sup>. فما معنى الحديث؟

قيل: المؤمن يموت بعرق الجبين يعني: إذا حضرته سكرات الموت أصابه عرق وأتاه رشح.

وقيل: يموت بعرق الجبين: أي أنه يموت كدّاً وكدحاً في العمل الصالح، وهي كناية عن اجتهاده في العمل الصالح وعن بذله وعن تقواه لله، عز وجل، حتى يلقي الله عز وجل وقد بلغ من نفسه مبلغاً في العبادة والمجاهدة، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ولكن من الذي يجاهد في الله؟ هو الذي يصدق مع الله عز وجل ويفعل المأمور ويجتنب المحذور أو يتبع القرآن والسنة.

باختصار.. هذا معنى المؤمن يموت بعرق الجبين، وبعض العلماء يقولون: من علامة المؤمن أنه قد يبتسم في سكرات الموت ويعرق جبينه وتأتيه مبشرات، وقد حدث هذا لابن المبارك فيما نقل عنه أن تبسم وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١].

وقد تُرى له رؤيا حسنة في الحياة الدنيا، فهي من المبشرات يراها المؤمن أو تُرى له كما قال عليه السلام.

**السؤال الرابع:** ماذا يلزم من حضر المحتضر الذي حضرته الوفاة؟

(١) رواه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين رقم (٩٨٢) وقال: هذا حديث حسن.

والنسائي في الجنائز، باب علامة موت المؤمن رقم (١٨٢٨، ١٨٢٩).

وصححه الحاكم في المستدرک ١: ٣٦١ وقال: على شرط الشيخين (أي البخاري ومسلم) ولم يخترجاه. ووافقه الذهبي بقوله: على شرطهما.

**الجواب:** أن يلقيه لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة التوحيد، لا إله إلا الله ندخل بها في الدين، ولا إله إلا الله نختم بها حياتنا، لا إله إلا الله قامت من أجلها السموات والأرض.

لا إله إلا الله نزلت من أجلها الكتب وأرسلت من أجلها الرسل، لا إله إلا الله أقيمت من أجلها النار والجنة، وتُصب الصراط ونزلت الصحف ونصب الميزان، لا إله إلا الله وثيقة أرسل بها الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن نوح إلى محمد ﷺ.

لا إله إلا الله جرت من أجلها بدر وأحد وحطين والقادسية وعين جالوت ومعارك الإسلام، لا إله إلا الله فيصل بين أهل التوحيد وأهل الكفر، وهي الميثاق الذي أخذه الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

فعليك إذا حضرت مُحْتَضِراً أن تُلقنه لا إله إلا الله، إما شهيد في المعركة أو مريض أو مصاب بحادث، ورأيت أنه في الرmq الأخير فالله الله أن تجري هذه اللفظة على لسانه فهي من أكبر الحسنات.

قال أبو ذر للرسول ﷺ: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «أعظم الحسنات، هل بعد لا إله إلا الله حسنة، هي أعظم الحسنات»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم في الصحيح وهو عند الأربعة:

(١) رواه أحمد في المسند ٥: ١٦٩ بلفظ قريب. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨١: ١٠: رواه أحمد، ورجاله ثقات، إلا أن شمر بن عطية حدّث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحدًا منهم. وجاء في «الفتح الرباني» للساعاتي ١٤: ٢٠٩: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد.

«لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(١)</sup> من حديث أبي سعيد وأبي هريرة. ومعنى لقنوا: أي قولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالها فلا تعدها عليه.

يذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ قصة عن أبي زرعة الحافظ الكبير وهو من أئمة الجرح والتعديل، يقولون عنه أنه كتب بيده ألف ألف حديث، وقد حضرته الوفاة فأراد تلاميذه أن يلقنوه لا إله إلا الله ولكنهم استحيوا منه فهو عالم الدنيا ومُحدث المعمورة، واستحيوا أن يقولوا قل: لا إله إلا الله.

ولا حياء في هذا، فأرادوا أن يذكروه بسند الحديث وقد أغمى عليه، فأرادوا فقط أن يقول حدثنا فلان لأنه يعرف بضاعته، فإذا قالوا حدثنا فلان حدثنا فلان تذكر بالسند المتن فقال: لا إله إلا الله، فتلعثموا وكأنهم ما يدرون ما هو السند أهو شعبة أو الأعمش أو سليمان بن مهران، فأفاق وسمعهم يتضاربون بالكلام بينهم في الحديث فقال: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وحدثنا فلان عن فلان عن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم مات!

وهذه من علامات الحسنى والثبات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

هذا هو التلقين الذي يجب على المسلم أن يُلقن العبد فيه، وأهل السنة يقولون: يدخل العبد في الإسلام بلا إله إلا الله.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله رقم (٩١٦)/(١) و(٩١٧)/(٢).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد (٣٥١/١).

السؤال الخامس: هل يصح في قراءة سورة (يس) على الميت

حديث أم لا؟

والجواب: أن الصحيح عند أهل السنة من المحدثين أنه لا يثبت فيها حديث، وليس من السنة أن يقرأ على الميت سورة (يس) لما رواه أبو داود والنسائي وابن حبان عنه رضي الله عنه قال: «اقرأوا على موتاكم يس» وهذا حديث معقل بن يسار وهو حديث لا يصح.

قال الدارقطني: حديث مضطرب لا يثبت، وفي سنده أبو عثمان وليس بالتهدي ولا نعرفه، واختلف سنده على كثير من الحفاظ وردوه، والسنن والعقائد لا تثبت بمثل هذا الحديث الضعيف الذي ضعفه العلماء ولم يُثبتوه، والمسلم يقف عند المأثور، ولا يبتدع في دين الله، «ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>، «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»<sup>(٢)</sup> رحم الله امرءاً وقف مع الأثر ومع الكتاب والسنة. إذاً لا يقرأ على المحتضر سورة (يس).

السؤال السادس: هل التسجية قبل التكفين أصل وارد؟ يعني تسجية الميت بثوب أو ببرد أو بشيء، هل ورد في ذلك شيء؟

الجواب: نعم، ففي الصحيحين<sup>(٣)</sup> عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن الرسول ﷺ لما توفي سُجِّي ببرد حبرة من برود اليمن، قبل أن يكفن ﷺ ويُغسل سُجِّي ببرد حبرة.

(١) رواه مسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطنة، وردّ محدثات الأمور، رقم (١٧، ١٨)/(١٧١٨).

(٢) رواه أحمد في المسند ١: ٢٠١، قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه ٣: ١٧٧: إسناده صحيح.

والترمذي في الزهد، رقم (٢٣١٧).

(٣) رواه البخاري في اللباس، باب البرود والجبر والشملة رقم (٥٨١٤). ومسلم في الجنائز، باب تسجية الميت رقم (٤٨)/(٩٤٢).

وهذا من السنة ليكون الميت مستوراً حتى يعمل تجهيزه في الغسل والتكفين والصلاة عليه، فالمقصد من هذا أن يستر الميت. وهي سنته ﷺ.

الثامن: ورد عنه ﷺ من حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي بسند حسن أنه قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه»<sup>(١)</sup>. فعلى العبد أن يجتهد أن يقضي دينه، لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة، والحق الذي بينك وبين الله مبني على المسامحة، فعليك أن تجتهد في أن تقضي دينك وأن تردّ حقوق الناس قبل أن تلقى الله عز وجل.

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «يغفر للشهيد إلا الدين»<sup>(٢)</sup>، يعني شهيد المعركة إذا قتل في سبيل الله غفر الله له ذنبه إلا الدين، قال: «أخبرني بذلك جبريل».

فعلى العبد أن يكتب وصيته فإذا لقي الله عز وجل كان عند ورثته خبر ونبأ ووصية مكتوبة بهذا، وكان عندهم علم، لما صح عنه ﷺ أنه قال: «ما حق امرئ مسلم يبني ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»<sup>(٣)</sup>، فكان ابن عمر يكتب وصيته ويراجعها عند رأسه - رضي الله عنه وأرضاه -.

السؤال التاسع: ما هي صفة الماء الذي يُغسل به الميت؟

الجواب: ورد عنه ﷺ أنه قال في الرجل الذي وقّصته ناقته وهو

(١) رواه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «نفس المؤمن...» رقم (١٠٧٨، ١٠٧٩).

وابن ماجه في الصدقات، باب التشديد في الدين رقم (٢٤١٣). وإسناده صحيح.

(٢) مسلم في الإمامة (١١٩)/(١٨٨٦).

(٣) البخاري في الوصايا (٢٧٣٨)، ومسلم في الوصية (١ - ٤)/(١٦٢٧).

محرم في عرفات قال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه»<sup>(١)</sup>، وفي لفظ: «وجهه».

قوله: «واغسلوه بماء وسدر» لأن الماء والسدر أنقى، وكفنوه في ثوبيه يعني: في ثوب الإحرام حتى يُبعث يوم القيامة ملبياً، وقد ورد في ذلك خبر يعني يخرج من قبره يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك... ولذلك لم يغط رأسه لأنه محرم والمحرم لا يغطي رأسه على الصحيح، وفي تغطية وجه المحرم خلاف.

إذا علم هذا فالمقصود أنه لا بأس أن يمزج الماء الذي يغسل به الميت بسدر أو كافور كما في حديث زينب، أو صابون لا بأس في ذلك، لأن المقصود الإنقاء وهذا الشيء الطاهر الذي يضاف إلى الماء لا يُنجسه.

### السؤال العاشر: كيف غُسل الرسول ﷺ؟

الجواب: روى الإمام أحمد وأبو داود عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ لما مات أتى علي بن أبي طالب والعباس والفضل وأسامة يغسلون رسول الله ﷺ وكان في ثيابه المطهرة ﷺ، فلا يدرون هل ينزعون ثيابه ويباشرون جسمه الطاهر الطيب - بأبي هو وأمي - أم يغسلونه من فوق الثياب؟ فاختلفوا»، وفي رواية أبي داود: «فألقي الله عليهم الثعاس فناموا الأربعة في الغرفة فسمعوا هاتفاً يقول: اتركوا ثياب رسول الله ﷺ عليه واغسلوه من فوق الثياب»<sup>(٢)</sup>، فغسلوه بالماء ودلكوه والثياب عليه ﷺ وما نزعوا ثيابه.

(١) البخاري في الجنائز (١٢٦٥)، ومسلم في الحج (٩٣)/(١٢٠٦).

(٢) أبو داود (٣١٤١) بلفظ: «... فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم...، ثم كلمهم مكلّم... أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه... وسكت عنه أبو داود.

فهذه صفة غسله ﷺ، غسل من على ثيابه وذلك ﷺ، فهو الطيب المُنطَب، حيّاً وميتاً، ولذلك أتاه أبو بكر قال: يا رسول الله ما أطيبك حيّاً وميتاً.

**السؤال الحادي عشر:** هل يجوز للقريب والصاحب تقبيل الميت؟

**الجواب:** نعم. وقد أتى أبو بكر والرسول ﷺ مسجى قد مات، فكشف الغطاء عن وجهه وبكى وقال: ما أطيبك حيّاً وما أطيبك ميتاً.

وحديث غسل زينب السابق روته أم عطية في الصحيحين أن زينب بنت رسول الله ﷺ لما توفيت أتى الرسول فوقف على النساء في الباب وقال لأم عطية: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً إن رأيتهن ذلك»، وفي لفظ: «تسعة»، وبعض الحفاظ لا يُثبتها، «واجعلن آخره كافوراً أو شيئاً من الكافور، وإذا غسلتموها فاذنني»<sup>(١)</sup> أو كما قال ﷺ، فلما انتهوا من غسلها أخبروا رسول الهدى ﷺ فأعطاهن حقوه. والحقو إزاره الذي يلي جسده ﷺ، وأمر أن يُجعل شعاراً لها.

وفي هذا الحديث قضايا: منها أن المرأة تغسل المرأة ولو كانت أجنبية، ومنها أن السنة في الغسل ثلاث أو خمس أو سبع على الوتر، وهو سنة رسول الهدى ﷺ في ذلك.

ومنها أنه لا بأس أن يخلط الماء بشيء من كافور أو من الطيب حتى تكون رائحة الميت طيبة.

ومنها التبرك بآثار الصالحين، وهذا له خاصة ﷺ ليس لأحد غيره فيما نعلم، وهو أصل عند أهل السنة ولو أن البعض تجوّز، لكن آثاره ﷺ فقط ثيابه وشعره وأظفاره هي التي فيها البركة ﷺ وليست لغيره.

(١) البخاري في الجنائز (١٢٥٣)، ومسلم في الجنائز (٣٦)/(٩٣٩).

## السؤال الثاني عشر: ما هي صفة الكفن؟

**والجواب:** ورد في الصحيحين من حديث عائشة أن الرسول ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة ثياب بيض سحولية<sup>(١)</sup> - سحولية نسبة لسحول قرية باليمن - بيض من كُرسف - يعني: من قطن - كفن فيها رسول الهدى ﷺ، فثلاث قطع بيض تلف على الميت، هذه صفة الكفن. ومن كُفِّنَ في قميصه فوارد عند أهل السنة، وجائز أن يكفن في ثوبه إذا كان ثوبه نظيفاً جميلاً طيباً، والسنة أن يكون أبيض.

## السؤال الثالث عشر: هل يجوز التكفين في القميص؟

**الجواب:** أتى عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لما مات أبوه المنافق عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين والحاسدين الناقمين على الإسلام فقال: يا رسول الله أعطني قميصك حتى أكفن أبي فيه، وهو عدو للإسلام، لكن الرسول ﷺ تقديرأ لابنه المسلم المؤمن أعطاه قميصه، فأتى فكفن هذا المنافق فيه وجعله جزاء لابنه وإكراماً لابنه فجعله كفناً لأبيه.

وقد استدل به البخاري<sup>(٢)</sup> وأمثاله على أن القميص لا بأس به أن يكون كفناً، وحمل هذا المجرم إلى القبر وقام ﷺ يصلي عليه فأتى عمر أمامه قال: يا رسول الله تصلي على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين؟! قال: «دعني يا عمر»، قال: يا رسول الله كيف تصلي عليه؟ أما فعل كذا، أما فعل كذا، أما فعل كذا؟ كيف تصلي عليه وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

قال ﷺ: «دعني يا عمر والذي نفسي بيده لو أعلم أن الله يغفر

(١) البخاري (١٢٧٣)، ومسلم في الجنائز (٤٥)/(٩٤١).

(٢) البخاري (١٢٦٩، ٤٦٧٢).

لهم بعد السبعين لاستغفرت له بعد السبعين»، فلما صلى أتى العتاب من الله عز وجل إليه ﷺ وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، فجعلها ﷺ خاتمة عمله في هذه المسألة.

والشاهد في هذا أيها الإخوة التكفين في القميص.

كان ابن المبارك رضي الله عنه وأرضاه المحدث الزاهد العابد، له ثوب يصلي فيه دائماً صلاة الليل، فلما حضرته الوفاة قال: كفنوني في ثوبي هذا، فإني قد صليت فيه لله كثيراً وكنت أقوم فيه الليل.

وابن القيم له كلام في مدارج السالكين يقول: إن آثار الصالحين لها أثر على الصالحين كثياب الصالحين وعمائم الصالحين وأحذية الصالحين. قال: حتى ترى وسام الصلاح عليها، وكذلك الفسقة تعرف ثيابهم وتعرف عمائمهم مما عليها من الفجور والفسق، وهذا أمر يعلمه أهل التقوى وأهل الفراسة الإيمانية.

السؤال الرابع عشر: هل هناك سنة في لون الكفن؟

والجواب: روى ابن عباس عند الخمسة إلا النسائي أن الرسول ﷺ قال: «البسوا البياض فإنها خير ثيابكم أو من أطيّب ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»<sup>(١)</sup>.

فالبياض لون جميل وهو أحسن ما يلبسه العبد المؤمن، والبياض مذكور في كثير من الأحاديث، يقول ﷺ في دعاء الاستفتاح: «ونقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»<sup>(٢)</sup>.

قال عمر رضي الله عنه كما ذكر مالك في الموطأ في آخر الباب: يعجبني أن يكون ثوب القاريء أبيض.

(١) أحمد في المسند ١: ٢٤٧، قال الشيخ شاکر في شرحه ٤: ٤٨: إسناده صحيح، وأبو داود (٣٨٧٨)، والنسائي (١٨٩٦).

(٢) البخاري (٧٤٤، ٦٣٦٨)، ومسلم في المساجد (١٤٧)/(٥٩٨).

فقوله ﷺ: «البسوا البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»، دليل على أن السنة في الكفن أن يكون أبيض، وذلك من باب التفاؤل أن الله يُبيض هذا الميت، وأن يكون مُنقى هذا الثوب كهذا الكفن من الأوزار ومن الأوساخ والأدران، والله المستعان.

يقول أحدهم:

خذ القناعة من دنياك وارض بها      لو لم يكن لك إلا راحة البدن  
وانظر لمن ملك الدنيا وجمعها      هل راح منها بغير الطيب والكفن  
أو كما قيل.

ولذلك ما ذهب أحد من الناس من القرون الأولى ولا الأخيرة إلا بالطيب والكفن، وهذه عبرة للمعتبرين وعظة للمتعتبين، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

يقولون: لما حضرت أبا بكر الوفاة - رضي الله عنه وأرضاه - أتوا بثياب جديدة، قال: ما هذه الثياب؟ وهو في سكرات الموت، قالوا: نكفنك فيها، قال: لا، الحيُّ أولى بالجديد من الميت، وأنا ميت، إذا مت فاغسلوا ثوبي هذا - ثوباً قديماً كان يصلي فيه ويجاهد فيه ويتصدق فيه ويقرأ القرآن فيه ويسبِّح فيه - وكفنوني فيه. فلما حضرته الوفاة قال: اذهبوا بثوبي الآخر إلى عمر وبالبغلة وبهذا الجمل وقولوا: يا عمر اتق الله لا يصرعك الله مصرعاً كمصرعي، فلما ذهبوا بهذا إلى عمر بكى وجلس وقال: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر.

السؤال الخامس عشر: هل ورد في إحسان الكفن حديث؟

الجواب: نعم. روى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه؛ فإنهم يبعثون

في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم»<sup>(١)</sup>. يعني: إذا توليت أنت كفن المؤمن من قريب أو حبيب أو صديق، فأحسن كفنه، يعني حسناً لا يدخل في المغلاة، لأن المغلاة سوف يأتي نهي عنها، فلا ينفع الميت إلا عمله، تسبيحه... ذكره... صلواته... والله لو نسجت له كفناً من ذهب، والله لو ألبسته تاجاً في القبر، والله لو صنعت له كساء من فضة لا ينفعه إلا أن يكون من أولياء الله، وإذا كان من أولياء الله فلو كان في خيشه، أو لو مات من غير كفن، فإن عمله الصالح هو الذي ينفعه فقط. وإحسان الكفن أن تختار ثياباً جميلة نسيباً بيضاء طيبة نقية، هذا هو الإحسان.

أما المغلاة في الكفن فقد نهى عنها ﷺ في حديث صحيح فقال: «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سريعاً»<sup>(٢)</sup>، يعني يسلب يصبح هباءً منثوراً تأكله الدود في ثلاثة أيام.

كان عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد الراشد الذي جدّد أمر الأمة في المائة سنة الأولى، تولى الخلافة وعمره ٣٩ سنة وقاد الأمة بالزهد، ما كان عنده إلا ثوب واحد. كان يوم الجمعة، خليفة يملك اثنتين وعشرين دولة إلى حدود إسبانيا وسيحون وجيحون والسند والهند، يملكها كلها ومع ذلك ما عنده إلا ثوب يغسله يوم الجمعة ويبقى في فراشه حتى يجف الثوب ثم يصلي فيه، يقول له الناس: ألا تتزين وتتجمل؟

قال: كيف لو رأيتموني بعد ثلاث ليالٍ في القبر إذا تولى عني الأحباب والأصحاب وأكلني التراب؟!

فقوله ﷺ: «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سريعاً»، معنى ذلك: لا تهتموا به غالباً فإنه ثلاثة أيام وينتهي وما يبقى إلا العمل الصالح:

(١) مسلم في الجائز (٤٩)/(٩٤٣)، بلفظ: «إذا كَفَّن أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ».

(٢) أبو داود (٣١٥٤) وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٣٩).

يا عامراً لخراب الدار مجتهداً      بالله هل لخراب الدار عمرانُ  
ويا حريضاً على الأموال تجمعها      أكثر فإن سرور المال أحزانُ  
يا مُتعب الجسم كم تسعى لراحته      أتعبت جسمك فيما فيه خسرانُ  
أقبل على الروح واستكمل فضائلها      فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

**السؤال السادس عشر:** الجمع بين ميتين فأكثر، هل يجوز أن تجمع بين ميتين في قبر أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر؟

وهل إذا أتت حروب مُدْلَهَمَةٌ أو موت كاسح في الناس، هل يجمع بين اثنين أو أكثر؟

**الجواب:** السنة في ذلك أن يدفن كل ميت وحده، لكن إذا احتاجوا إلى ذلك من كثرة القتلى أو كثرة الأموات فالجائز والوارد أن يُدفن اثنان أو أكثر في قبر واحد. روى جابر في البخاري عن رسول الله ﷺ أنه جمع قتلى أحد الاثنين والثلاثة في قبر، يقدم الأكثر أخذاً للقرآن يقول «أيهم أكثر حفظاً للقرآن»<sup>(١)</sup>؟

وكان عند الرسول ﷺ صاحب القرآن سيداً من السادات، يقول أنس: كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة وآل عمران جدّ فينا، يعني نبل وفضل وأصبح سيداً.

أتى كوكبة من الصحابة يريدون غزوة، فقال رسول الله ﷺ: «أفيكم أحد يحفظ سورة البقرة؟» قال أحدهم: أنا يا رسول الله، قال: «اذهب فأنت أميرهم»<sup>(٢)</sup>. فشاهدنا هنا أنه يجوز الجمع بين الثلاثة

(١) ابن ماجه (١٥١٤) عن جابر، وأبو داود (٣١٣٨) وسكت عنه.

وروى الترمذي (١٠١٦) قسماً من هذا الحديث عن أنس بسند يختلف عن سند أبي داود وابن ماجه، وقد سأل الترمذي شيخه البخاري عن سند أبي داود وابن ماجه عن جابر فقال: أصح.

(٢) الترمذي (٣٠٥٣) وضعفه الألباني في المشكاة (١٢٤٣).

والأربعة. ويستحب عند أهل العلم أن يكون الأحباب في الدنيا مجموعاً بينهم في القبر، يعني المتوافقين والزملاء والأحبة والجيران المتآخين أن يكونوا في قبر واحد، ولا يُجمع بين غير المحارم كما لا يجمع بين الأجنبية والأجنبي، لا لم يرد في ذلك حديث، والأصل المنع من ذلك.

**السؤال السابع عشر:** قد مرَّ معنا وهو المغالاة في الكفن ونهيه عنه ﷺ في ذلك من حديث علي عند أبي داود.

**السؤال الثامن عشر:** هل لأحد الزوجين أن يُغسل الآخر؟

**الجواب:** الزوج له أن يُغسل زوجته وتغسل زوجها. فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها في مسند الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان أن الرسول ﷺ قال لها قبل أن يموت بأيام: «لو مُتَّ قبلي لغسلتُك»<sup>(١)</sup>، يقول ﷺ وقد زار بقيع الغرقد الأموات فسلم عليهم في ظلام الليل ثم عاد وهو معصوب الرأس من الصداع وقال: وارأساه، بل في الصحيح أن عائشة قالت: وارأساه، قال ﷺ: «بل أنا وارأساه»<sup>(٢)</sup> وهذا على سبيل المداعبة. قالت: لو مُتَّ أنا أظنك أنك تتزوج بعدي - انظر لغيره المرأة حتى بعد الموت - قال ﷺ: «بل أنت لو مُتَّ لغسلتُك»، يعني ترك المرح ﷺ، يعني كأنه يتخيل أنه قريب الميعاد من لقاء الله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فسيح بحمد ربك واستغفره إنك كان تواباً ﴿٣﴾ [النصر: ١ - ٣].

أخذ من هذا أهل العلم أن الرجل يجوز له أن يغسل زوجته.

**السؤال التاسع عشر:** هل لنا أن نُصلي على من مات في حد؟

(١) أحمد في المسند ٦: ٢٢٨، وابن ماجه (١٤٦٥).

(٢) البخاري (٥٦٦٦).

يعني رجل ارتكب كبيرة من الكبائر، مسلم زنا فُحْدً وهو مُحَصَّن فُرْجَم بالحجارة حتى مات هل نصلي عليه؟ قاتل نفس، قتل نفساً ثم قُتل هل نصلي عليه؟ أم لا.

**الجواب:** روى بريدة بن الحصيب في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ صَلَّى عَلَى الغامدية التي رُجِمَتْ مِنَ الزَّنا<sup>(١)</sup>، فما أرحمه وما أحسنه وما أحسن هذا الدين، نحن أهل السنة والجماعة لا نكفر بالكبائر، وأهل الكبائر الذين لم يستحلُّوها لا زالوا مسلمين لكنهم فسقة. يقول الحافظ الحكمي: لكنهم عصاة قد يدخلون النار بلا تخليد، وأن من كَفَّرَ بالكبائر مثل الخوارج عليهم غضب من الله وهم مخالفون مبتدعة.

فالمقصود من هذا أن من ارتكب حَدًّا وأقيم عليه حدٌّ فإنه يُصلى عليه ولا زال مسلماً كالمحدود من الزنا، وإذا تاب وعُلمت توبته وندم وأتى يطلب الحدَّ فإنه يُقام عليه الحدُّ ثم يُصلى عليه كما فعل ﷺ كما في صحيح مسلم.

**السؤال العشرون:** هل تجوز الصلاة على من قُتل نفسه؟

**الجواب:** روى جابر بن سمرة في صحيح مسلم أن رجلاً قتل نفسه فمات فما صَلَّى ﷺ عليه، ترك الصلاة عليه.

قال أهل العلم: تحذيراً من الإمام أن لا يصلي على هذا، وما أعلم أن المسلمين صلُّوا عليه. وقد تتبعت هذه الرواية لأرى هل الصحابة صلُّوا عليه أم لا فما رأيت ذلك، والأصل أن نقف عند المأثور وهو أنه لا يصلي على من قتل نفسه تحذيراً له، وقد يرحمه الله بعد تعذيبه بهذا، وذلك لأنه ما كفر ولكنه فعل فعلاً من الكبائر، نسأل الله العافية والسلامة.

(١) مسلم في الحدود (٢٢)/(١٦٩٥).

**السؤال الحادي والعشرون:** هل يُصلى على الميت في قبره إذا فاتت الصلاة عليه في الحياة؟ يعني أتيت وصاحبك قد توفي وما أدركت الصلاة عليه مع الناس وأتيت وقد نفلوه وقبروه ودفنوه فماذا تفعل؟

**الجواب:** السنة في ذلك: أن تذهب وتصلي عليه صلاة الجنازة وهو في القبر، ويقول أهل العلم: إذا كان العهد قريباً وقدر بعضهم ذلك بشهر أو بما يقاربه، لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «كانت امرأة تقمُّ المسجد - وفي لفظ: رجل - فماتت فكأنهم سهَّلوا شأنها وما أرادوا أن يخبروا الرسول ﷺ بشأنها، فصلَّوا عليها ودفنوها، فسأل عنها ﷺ فأخبروه أنهم دفنوها أو دفنوه فقام على قبرها فصلَّى عليه ﷺ صلاة الجنازة»<sup>(١)</sup>.

وعند البخاري من حديث ابن عباس موقوفاً عليه وهو من قبيل المرفوع الحكمي قال: «صلى النبي ﷺ على قبر منبوذ مرَّ بنا فصلَّى على قبر دفن لشهر»، أي لفترة شهر، فبعض أهل السنة يحدّد بالشهر، وأما من فاتت مدته وطالت مدته فلا، بل تكفي بالدعاء له والاستغفار.

**السؤال الثاني والعشرون:** حكم النعي! النعي في الإسلام ما حكمه؟

**الجواب:** روى الإمام أحمد والترمذي عن حذيفة قال: «نهى الرسول ﷺ عن النعي»<sup>(٢)</sup> وقال: لا نعي في الإسلام»<sup>(٣)</sup>. فالنعي المنهي

(١) البخاري (٤٥٨)، ومسلم في الجنائز (٧١)/(٩٥٦) مع بعض الاختلاف في اللفظ.

(٢) أحمد في المسند ٥: ٣٨٥، ٤٠٦.

والترمذي (٩٨٦) عن حذيفة بن اليمان: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أحمد في المسند ٥: ٣٨٥، ٤٠٦.

والحديث في الترمذي (٩٨٤) بلفظ: «إياكم والنعي، فإن النعي من عمل الجاهلية» وقد ضَعَفَ هذا الحديث.

عنه هو الإخبار على وجه التشهير بأن تُشهر به وتجعل له منزلة فوق منزلته كما يفعل الآن الناس في الصحف والمجلات، فيقول: نعي إليكم فلان بن فلان الذي توفي يوم كذا وكذا، وينشرون إعلانات في الصحف. هذا من النعي المحرم لأنهم يريدون به الشهرة، ثم يكتبون بعد ذلك إعلانات شكر لمن اتصل بهم في الهاتف وإعلانات شكر لمن زارهم ولمن واساهم ولمن بكى مع بكائهم أو غير ذلك، وهذا كله لم يرد في الإسلام وهو خلاف السنة.

روى البخاري عن أبي هريرة لما مات النجاشي قال: «نعي إلينا رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه»<sup>(١)</sup>، فكيف نجتمع بين الحديثين؟ يقول هنا: «نعي إلينا»، وهناك: «نهي رسول الله ﷺ»، وقال: «لا نعي في الإسلام».

أما حديث النجاشي فمعناه: أخبرنا، فالخبر لا بأس به، فلك أن تُخبر بموت الميت ليحضر الناس لكي يصلُّوا عليه، لكن أن تُشهر به في الناس وتُذَّبه وتخبر به فهذا ليس وارداً وليس من السنة، وإنما النعي هنا بمعنى أخبرنا ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فصلَّى عليه الصحابة كما سوف يأتي.

**السؤال الثالث والعشرون:** هل يصلَّى على الغائب؟ رجل مات في مدينة مثل الرياض ونحن هنا في خميس مشيط هل نصلي عليه هنا؟ وذلك لأن الناس كثر الحديث بينهم في هذه القضية وكثر القيل والقال؟

**الجواب:** للعلماء أربعة أقوال في المسألة.

بعضهم يقول: إذا كان الميت اتجاه القبلة فنصلي عليه، وهذا لا دليل عليه أبداً.

(١) البخاري (١٢٤٥)، ومسلم في الجنائز (٦٢، ٦٣)/(٩٥١).

وبعضهم يقول: نصلي عليه مطلقاً، واستدلوا بحديث معاوية بن معاوية المزني أنه مات في المدينة والرسول ﷺ في تبوك فصلّى عليه ﷺ من هناك. والحديث ضعيف لا يصح، بل يصل إلى درجة الوضع<sup>(١)</sup> ولكن ما هو الصحيح والراجع في المسألة؟

الراجع أن المسلم إذا مات في بلد لم يُصلَّ عليه فيه فيصلّي هو عليه، يعني مسلم مات في بلد، ولكن ما سمعنا أن أحداً صلّى عليه فنصلي عليه صلاة الغائب لأن بعض العلماء قال: إن النجاشي لما توفي بأرض الحبشة وكانوا على دين النصرانية وما صلّوا عليه، فصلّى عليه ﷺ في المدينة وذلك في الحبشة صلاة الغائب.

فالمسلم إذا مات وتيقنّا أنه لم يُصلَّ عليه صلّينا عليه.

**الحالة الثانية:** قالوا إذا كان للمسلم بلاءٌ حسنٌ، إنسان مشهور، عالم من العلماء الكبار، كما يفتي علماؤنا الآن بصلاة الغائب على عالم من العلماء أو مجاهد من المجاهدين الكبار، أو رجل عادل كان له عدل وكان يحكم بالكتاب والسنة فهذا يُصلّى عليه.

فهي حالتان: إذا لم يصلَّ على الميت في البلد الذي مات فيه صُلي عليه.

والحالة الثانية: إذا كان له أثر وبلاء حسن فيُصلّى عليه، أما إننا كلما سمعنا بميت قمنا صلينا عليه وقلنا للناس: مات فلان بن فلان لأنه مسلم لكن ما له أثر وقدم صدق، فليس هذا بوارد في السنة فيما أعلم هذا في صلاة الغائب.

**السؤال الرابع والعشرون:** عدد المصلين الذي ورد مرغباً فيه عنه ﷺ ما هو؟

(١) انظر: الإصابة: ٨٠٨٠.

**الجواب:** ثبت عند الإمام أحمد وأبي داود عن ابن عباس قال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شُفِّعوا فيه»<sup>(١)</sup>. وكلما كثر العدد كان أحسن، والسنة أن يكونوا ثلاثة صفوف. وكان ابن عباس إذا تَقَالَ الناس ورَّعهم ثلاثة صفوف لأنه من أحسن ما يكون، وكذلك فعل جابر وكثير من الصحابة، فالأربعون فما فوق أحسن.

وورد عن ابن عباس في رواية: «مائة وعشرون»، لكن الأقل هو الذي ورد والأكثر كأنه على زيادة الأجر والله أعلم. فهنيئاً لمن صَلَّى عليه أربعون أو أكثر لا يشركون بالله شيئاً وأخلصوا له الدعاء، فعسى الله أن يُشَفِّعهم فيه.

#### السؤال الخامس والعشرون: صفة الصلاة على المرأة.

**الجواب:** ورد عن جابر بن سمرة «أن الرسول ﷺ ماتت امرأة في عهده بسبب الولادة، أو ولدها مات في بطنها فماتت بهذا، فقام ﷺ وقام وسطها فصَلَّى بالناس»<sup>(٢)</sup>. فالسنة أن يقوم الإمام وسط المرأة إذا عَرَّضها أمام الناس أن يقوم وسط المرأة، وعند صدر الرجل، هذه سنته ﷺ في الصلاة. والدعاء للمرأة يتغير بلفظ المؤنث، والرجل بلفظ المذكر، وسوف نذكر الأدعية التي كان يدعو بها ﷺ.

**السؤال السادس والعشرون:** هل يجوز لنا أن نصلي على الجنازة في المسجد؟

**والجواب** أن نقول: الأصل في ذلك أن تكون في الجبَّانة في

(١) مسلم في الجنائز (٥٩)/(٩٤٨).

وأحمد في المسند ١: ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) البخاري (٣٣٢، ١٣٣١، ١٣٣٢).

ومسلم في الجنائز (٨٧)/(٩٦٤).

الصحراء. هذا الأحسن والأحوط. وكان الصحابة يفعلونه وهو الأغلب في فعلهم مع الجنازة، لكن في حديث عائشة رضي الله عنها كما في الصحيح قالت: والله ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل وسهل بن البيضاء إلا في المسجد<sup>(١)</sup>. يعني احتاجت رضي الله عنها أن تدفع حجة من يقول لا يجوز، لأن المشهور عند الصحابة أنهم صلوا هناك، لأن سبب الحديث أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه توفي فأتوا به من البادية فأدخلوه في المسجد مسجد الرسول ﷺ يصلون عليه، فأنكر بعض الصحابة، فقالت عائشة: ما بال الناس؟ ما أسرع ما نسي الناس! والله ما صلى رسول الله ﷺ على سهل وسهيل بن البيضاء إلا في المسجد.

فَعُلم أنه جائز، ولا مانع أن يُصلى على الميت في المسجد إذا كان الجمع أكثر أو كانت الجبانة أو الصحراء بعيدة ولا يمكن أن يذهب الناس إلى هناك، فالأمر وارد في السنة وله أصل، لكن الأولى والأحوط إذا كانت المقبرة قريبة أن يُصلى عليه في الصحراء في الجبانة.

**السؤال السابع والعشرون:** وصف الصلاة على الميت والدعاء.

**الجواب:** ورد أربع تكبيرات، وورد خمس، والراجح الأربع كما يقول الحنابلة وغيرهم من المحدثين. كان ﷺ يُكبر التكبيرة الأولى فيقرأ سورة الفاتحة، وكان ابن عباس يجهر بها أحياناً يُعلمها الناس يقال: ليعلموا أنها سنة. وورد أن ابن عباس كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] مع الفاتحة. ويكبر الثانية ويصلي على الرسول ﷺ الصلاة الإبراهيمية: اللهم صل على محمد وآل محمد (الحديث)، ويكبر الثالثة ويدعو للميت كما في حديث عوف بن مالك قال: «توفي على عهد رسول الله ﷺ رجل فاقتربت من الرسول ﷺ حتى لامست ثيابه،

فسمعتة يقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم عافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجته»<sup>(١)</sup>.

قال عوف بن مالك: فوددت والله أني أنا الميت - يعني من حسن الدعاء -.

وكان ﷺ ربما قال: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وذكرنا وأنثانا. اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تفتننا بعدهم واغفر لنا ولهم»<sup>(٢)</sup> أو كما قال ﷺ، ثم يُسلم تسليمة واحدة على اليمين كما هو معروف، وإن سلم تسليمتين فوارد ذلك في حديث معقل بن يسار وهو صحيح، وحديث ابن المغفل وهو صحيح: «أن الرسول ﷺ سلم تسليمتين»<sup>(٣)</sup>. فالإمام أحياناً يسلم تسليمتين إذا أراد، ولكن الغالب الراجح تسليمة واحدة.

**السؤال التاسع والعشرون: ما أجر من شهد الجنازة؟**

**الجواب:** صح عنه ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «من شهد الجنازة حتى يُصلّى عليها وتُدفن عاد من الأجر بقدر قيراطين، كل قيراط كجبل أحد»<sup>(٤)</sup>.

**السؤال الثلاثون: أين يكون المشيع للجنازة؟**

**الجواب:** الماشي، المشيع الذي يمشي، السنة أن يكون أمام

(١) مسلم في الجنائز (٨٥، ٨٦)/(٩٦٣).

(٢) أحمد في المسند ٢: ٣٦٨ وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٢٤).

(٣) يُنظر سنن الدارقطني ٢: ٧٢.

وسنن البيهقي ٤: ٤٣ وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٢٨).

(٤) البخاري (١٣٢٥)، ومسلم في الجنائز (٥٢، ٥٣)/(٩٤٥).

الجنائز لما رواه الخمسة وابن حبان «أن الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنائز»<sup>(١)</sup>، أما الراكب فخلفهم، الذي يشيعها وهو راكب سيارة أو دابة السنة أن يكون خلف الجنائز، وأما الماشي فيمشي أمام الجنائز، وإن مشى بجانبها فحسن ولا بأس، ولكن الأفضل أن يكون أمامها.

### السؤال الحادي والثلاثون: هل يجوز اتباع النساء للجنائز؟

الجواب: تقول أم عطية في الصحيحين: «نُهيّا عن اتباع الجنائز ولم يُعزَم علينا»<sup>(٢)</sup>، نهاهم ﷺ، ولكن تقول ما عزَم عليهم، وأهل العلم كثيراً منهم يرون أن لا تتبع المرأة الجنائز ويلحقونها بباب زيارة القبور للنساء لأنها سريعة الهلع وقليلة الصبر، فليس لها أن تتبع الجنائز، بل تبقى في بيتها وتتقي الله عز وجل. ولو كان الميت قريبها أو ابنها أو أخاها أو أباه فلا تفعل، تبقى في بيتها وتتقي الله، وبيتها أستر لها.

### السؤال الثاني والثلاثون: كيف يدخل الميت قبره؟

الجواب: روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن يزيد أنه قال: «السنة أن يُدخل الميت من قبل رجله القبر»<sup>(٣)</sup>، أي أول ما يدخل من هناك رأسه ثم يمشي من عند رجلي القبر حتى يوضع في قبره، هذا هو المتصور. وهذا الحديث عند أبي داود من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه وأرضاه.

### السؤال الثالث والثلاثون: ما حكم زيارة القبور للرجال والنساء؟

(١) أبو داود (٣١٧٩)، وأحمد في المسند ٢: ٨، قال الشيخ شاکر في شرحه ٦: ٢٤٧:

إسناده صحيح.

(٢) البخاري (١٢٧٨).

ومسلم في الجنائز (٣٥)/(٩٣٨).

(٣) أبو داود (٣٢١١) بسياق مختلف. وسكت عنه.

الجواب: أما زيارة القبور فهي سنة للرجال لقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث أيها الإخوة الفضلاء عند الحاكم من حديث أنس وهو صحيح.

وأما النساء فالراجح عند أهل العلم أنه لا يجوز للمرأة أن تزور القبور لقوله ﷺ: «لعن الله زوَّارات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسُّرج»<sup>(٢)</sup> أو كما قال ﷺ. ولو أن بعضهم يقول: يجوز للمرأة أن تزور نادراً، لأن لفظ الحديث زوارات ويراها مثل الألباني لكن الصحيح لا، الصحيح (زائرات)، ورد هذا، ولو كان زوارات لما أخرجنا اللفظ من أن الرسول ﷺ منع الزوارات، ومن يخبرنا أن المقصود به من تكثر الزيارة ولو كان لفظ المبالغة.

وقطع مادة الإفساد هو الأولى والأحسن، وذلك لسد الذريعة فتمنع النساء أن يزرن المقبرة.

أما ما ورد مثلاً في صحيح مسلم والذي يستدل به مثل الشيخ الألباني وغيره من العلماء يقولون: إن الرسول ﷺ يقول لعائشة لما قالت له: يا رسول الله إذا زُرت القبور ماذا أقول؟ قال: «قولي اللهم اغفر لهم وارحمهم»، الحديث. فهذا والله أعلم يكون كما بيّن بعض الشراح إذا اضطرت أن تمرّ بالمقبرة، يعني امرأة مرّت ما زارت، فلها أن تسلم،

(١) الحاكم في المستدرك ١: ٣٧٥. وضعفه الذهبي في التلخيص.

ورواه الترمذي (١٠٥٤) عن بُريدة بلفظ قريب وفيه زيادة، ثم قال الترمذي: حديث بُريدة حديث حسن صحيح.

ويُنظر مسلم في الجنائز (١٠٥)/(٩٧٦).

(٢) الترمذي (١٠٥٦) بلفظ: «أن رسول الله ﷺ لعن زوَّارات القبور» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه (١٥٧٤)، والنسائي (٢٠٤٣). بلفظ: «... زائرات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسُّرج».

تكون في سيارة أو مرت مع ابنها، أو مرّت وحدها، ورأت قبوراً فلها أن تُسلم وتقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»<sup>(١)</sup>.

وأما أن عائشة زارت قبر أخيها في مكة وبكت وأبكت فهو عند الترمذي من حديث عطاء، وفي سنده نظر وانقطاع، ثم عمل الصحابي وحده لا يكون حُجّة، والمسألة فيها بحث طويل.

والخلاصة: زيارة القبور للرجال سنة وللنساء فممنوع لهنّ ولهنّ وفزعهن.

**السؤال الرابع والثلاثون:** ثبت عنه ﷺ أن الميت يُعذب ببكاء أهله كما في الصحيح<sup>(٢)</sup> ولكن أي البكاء؟

**الجواب:** البكاء الذي فيه نياحة وفيه رفع صوت وفيه ندبة وتسخط على القضاء والقدر، أما البكاء الذي فيه حُزن القلب وسيل الدموع فهذا ليس فيه بأس، والرسول ﷺ دمعت عيناه وحُزن قلبه وقال في موت إبراهيم: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(٣)</sup> أو كما قال ﷺ.

**الخامس والثلاثون:** السنة في العزاء أيها الإخوة الفضلاء أن تُعزي بالميت. قال الشوكاني: مدّة العزاء ثلاثة أيام، وألا يتجمع الناس في بيت الميت، ولا ينصبوا خياماً كما يفعل بعض الناس، ولا يصنع أهل الميت للناس طعاماً كما يفعل بعض الناس، وإنما قال ﷺ عند الخمسة: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم»<sup>(٤)</sup> في قتل جعفر.

(١) مسلم في الجنائز (١٠٢، ١٠٣)/(٩٧٤).

(٢) البخاري (١٢٨٦)، ومسلم في الجنائز (١٦)/(٩٢٧).

(٣) البخاري (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٦٢)/(٢٣١٥).

(٤) الترمذي (٩٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأبو داود (٣١٣٢) وسكت عنه.

فالسنة أن يصنع الجيران والناس لأهل الميت طعاماً ويرسلوا الطعام لأهل الميت، وأما أن يُكلف أهل الميت بالطعام فليس من السنة، وتجمعات الناس الآن في الخيام وجلوسهم ثلاثة أيام وترك الوظائف والأعمال والأشغال والدراسة ليس من الإسلام، وهو دليل على العطالة والبطالة، حتى أن بعضهم يسمن وقت العزاء من كثرة ما يأكل، تصيبه تخمة، لا هم ولا غم، ولا بُكا ولا حزن، فإذا قلت له: لماذا لا تداوم أو تدرس؟ قال: وأترك مشاركة جاري في الأحزان، بل لا تتركه من أجل الطليان والخرفان! فكل هذا ليس وارداً لا عقلاً ولا نقلاً، ما فعله السلف ولا الرسول ﷺ ولا الصحابة.

ولسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كتاب في هذا. السنة أن تُعزي ولا تجلس، ولك أن تعزي عند المقبرة أو في الطريق أو في السوق أو في الهاتف أو بالرسالة.

**السؤال السادس والثلاثون:** معتقد أهل السنة في قضية عصاة الموحدين. وقد سبق الكلام بأنه يخاف عليهم من العذاب وتُرجى لهم الرحمة، ولكن لا يخلدون في النار، ويُسمون فسقة لأنهم من أهل الكبائر.

والأمر الثاني: هل نشهد لأحد بجنة أو نار؟

أما الجنة فقال ابن تيمية: لأهل السنة فيها قولان:

**القول الأول:** لا نشهد بالجنة لأحد إلا من شهد له الرسول ﷺ.

**القول الثاني:** من استفاضت عدالته وزهده وصلاحه وخيره شهدنا

له بالجنة لقوله ﷺ: «وجبت وجبت»، ثم قال: «أنتم شهداء الله في أرضه»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٦٠/٩٤٩) وفي آخره «في الأرض».

وأما النار فلا، ولا يُشهد بها إلا لمن شهد له الله ورسوله ﷺ  
بها كأبي لهب، وأما غيرهم فلا... مهما فعل. والله أعلم.  
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



## النعي والبكاء على الميت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

قال البخاري رحمه الله: (باب الصفوف على الجنائز، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي ثم تقدم فصفوا خلفه فكبر أربعاً<sup>(١)</sup>).

هذا الحديث في كتاب الجنائز فيه مسائل:

الأولى: فائدة ترجمة البخاري.

والثانية: بعض رجال السند ولطائف من الإسناد.

(١) البخاري (١٣١٨).

والثالثة: عَلم من أعلام النبوة في إخباره ﷺ بموت النجاشي.

والرابعة: حكم الصلاة على الميت في المسجد.

والخامسة: الصلاة على الغائب، وفيه سبعة مذاهب لأهل العلم.

والسادسة: النعي وحكمه في الإسلام محذوره ومندوحه، وجائزه ومكروهه، ثم البكاء وأقسامه.

والسابعة: البكاء على الميت هل يعذب به، وفيها ستة مذاهب لأهل العلم.

أما تبويب البخاري فقد أبهم مراده رحمه الله، وهذا من فقهه رحمه الله، لأن المسألة خلافية لم يتحقق فيها رأي راجح له أو لغيره.

قال: الصفوف على الجنابة... فهل يقصد فضلها أو ثوابها أو ما ورد فيها، كل هذا محتمل من تبويب البخاري.

قال ابن حجر: يشير البخاري رحمه الله إلى قول عطاء أنه سُئل: هل نصف على الجنائز؟

قال: لا... تستغفرون وتدعون له. روى هذا الأثر عبد الرزاق في مصنفه.

والأمر الثاني: كأنه يشير إلى الحديث الذي ليس على شرطه من حديث مالك بن هبيرة مرفوعاً: «من صَلَّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب»<sup>(١)</sup>، حسن هذا الحديث الترمذي ورواه أبو داود وصححه الحاكم.

أوجب: أي وجبت له الجنة.

وفي تصحيح الحاكم نظر، فهو من رواية محمد بن إسحاق

(١) الترمذي (١٠٢٨)، وأبو داود (٣١٦٦) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (١٠٠).

صاحب السيرة وهو مدلس، وقد عنعن في سند الحاكم فكيف يصححه الحاكم؟ فتصحيحه ليس بجيد كما أشار بعض أهل العلم.

وهناك أحاديث تغني عن هذا الحديث الذي أورده ابن حجر في الشرح كحديث جابر في البخاري: فصفنا ﷺ فكنت في الصف الثاني (وفي رواية:) كنت في الصف الثالث.

فدل على أنه ﷺ صفهم صفوفاً.

وتوفي ابن لابن عباس رضي الله عنهما في عسفان فقال لعكرمة: ناد الناس.

فلما ناداهم صفهم رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة صفوف، فعلم أنه فعله بأثر رضي الله عنه وأرضاه.

فالأجر والمثوبة في الصفوف، وهو مقصود في الإسلام لهذا الحديث ولحديث جابر.

وهنا مسألة: هل الأفضل إذا كان الناس في صحراء أن يكونوا صفاً واحداً ولو أخذهم المكان أم يتوزعون صفوفاً؟

الذي يميل إليه أهل العلم من المحدثين وأورده ابن حجر أنهم يصفون ولو اتسع المكان.

**المسألة الثانية:** علم من أعلام النبوة في إخباره ﷺ بموت النجاشي، فقد كان ﷺ بالمدينة والنجاشي في الحبشة، فلما توفي في ذاك اليوم قال ﷺ: «لقد توفي اليوم رجل صالح في الحبشة فقوموا بنا لنصلي عليه»<sup>(١)</sup>. والحبشة كما تعرفون تبعد عن المدينة أميالاً كثيرة ولا يُخبر به ﷺ إلا بإخبار الله من علم الغيب، فهو علم من أعلام

نبوته ﷺ، وهذه معجزة قد تكررت له ﷺ أكثر من مرة أن يخبر بموت أناس في نفس اليوم الذي ماتوا فيه.

ففي الصحيحين عن أنس وعن ابن عمر وعن عائشة أنه ﷺ لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في معركة مؤتة أخبر ﷺ بهم ذاك اليوم وهو في المسجد، وكان يتكلم إلى الناس فقرب الله له المكان حتى رآهم في وسط المعركة<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر بمثل هذا أيضاً ﷺ لما مات معاوية المزني، ومختصر القصة أن الرسول ﷺ خرج بالجيش إلى تبوك وخلف معاوية بن معاوية المزني في المدينة لأنه مريض، فلما أصبح ﷺ في تبوك أتاه الخبر أن معاوية قد توفي، فقام ﷺ فصفاً الناس وصلى بالجيش عليه وهو بتبوك ثم سلم ﷺ ثم قال: «لقد صلى على معاوية بن معاوية المزني سبعون ألف ملك»، فقالوا يا رسول الله: بماذا؟

قال: «كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» [الإخلاص: ١] قاعداً وقائماً وعلى جنبه».

وقد قوى ابن حجر هذا الحديث واستحسنه وعضده بطرق له، وأصل الحديث عند أبي نعيم في الحلية ولكن حديثه في الحلية لا يستقيم والعهد على ابن حجر ومن أحيل على مليء فليحتل<sup>(٢)</sup>.

وأما غير الرسول ﷺ في مثل هذه الأخبار الغيبية فهي من باب الكرامة. فقد ورد مثلاً أن عمر رضي الله عنه كان يصلي بالناس يوم الجمعة على المنبر فلما كان في أثناء الخطبة قطعها ثم قال: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، يا سارية الجبل.

(١) البخاري (١٣٢٠).

(٢) انظر: الإصابة (٢٣٨/٩).

فلما نزل سأله الناس: ما لك يا أمير المؤمنين؟  
قال: لقد رأيت سارية وقد أُحيط به فقلت له: اعتصم بعد الله  
بالجبل، فالتجأ إلى الجبل فنجاه الله هو وأصحابه.

ولما قدم سارية سأله فقال: كدنا نهلك وأحيط بنا حتى سمعت  
صوت عمر يوم الجمعة يقول: يا سارية الجبل، فعمدت إلى الجبل  
فنجانا الله... وهذا من الكرامة.

الأمر الثاني: من هو النجاشي؟ النجاشي هو ملك الحبشة وكل  
من ملك الحبشة اسمه النجاشي، وأما هذا فاسمه أصحمة.  
وإنما صلى ﷺ عليه لثلاثة أسباب:

قيل: لأنه لم يصل عليه في الحبشة.

وقيل: تأليفاً لقلوب ملوك العرب لأنه ما دام أنه ﷺ يصلي على  
أولئك فمن باب أولى أن يصلي أو يترحم أو يتحبب بنفسه ودعوته إلى  
هؤلاء.

وقيل: لموقفه الكريم الشريف الماجد من صحابة الرسول ﷺ لما  
هاجروا إلى الحبشة، فكان حقاً على الرسول ﷺ أن يصلي عليه صلاة  
الغائب.

وعند البزار بسند فيه ضعف تقويه رواية الدارقطني في كتاب  
الأفراد: أن رجلاً قال: انظروا ينعي إلينا علجاً من علوج الحبشة!

فقام ﷺ فصلى عليه، فأنزل عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا  
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩].

ويكفي واحد من الأسباب الثلاثة في أن يصلي ﷺ.

حكم الصلاة على الميت في المسجد... ما مناسبة إيراد هذه  
المسألة في هذا الباب أو في هذا الحديث الذي أتى به البخاري؟ وهل

في الحديث أنه ﷺ ذكر المسجد أو قال: اخرجوا بنا إلى الصحراء؟  
فكيف وردت هذه المسألة؟

وردت هذه المسألة لأن في الرواية أن الرسول ﷺ قال: «اخرجوا بنا أو هيا بنا نصلي على هذا»<sup>(١)</sup>، فعُلم أنه الخروج من المدينة. وفي روايات ليست عند البخاري أنه ﷺ صلى بهم في الصحراء في المصلّى. ولكن هل يجوز أن نصلي على الميت في المسجد؟  
لأهل العلم أقوال:

١ - ذهب الحنفية والمالكية إلى أنه لا يُصَلَّى عليهم في المسجد وأن الصلاة في المسجد إنما هي صلاة الأحياء، وأن الذي ورد عنه ﷺ أنه كان يصلي في الصحراء ليقرب من المقبرة وليكثر الجمع ولتتعض في الصحراء بالميت، ولا يُدخل بالميت المسجد لأنه لا يعلم حال الميت فلا يكون المسجد ذريعة لدخول أموات كثيرين ربما يكونون غير مسلمين أو غير مستقيمين من فسقة وغيرهم.

٢ - وذهب الإمام أحمد والشافعي وجمهور السلف إلى أنه يُصَلَّى عليه في المسجد، والصلاة في الصحراء أفضل، ودليلهم ما روي عند أبي داود<sup>(٢)</sup> أن الرسول ﷺ صلى على سهيل وسهل ابني بيضاء في المسجد.

قال القرطبي: لا تُلبسوا علينا ما دام أن الحديث ورد فبطلت الآراء المضادة للحديث. وقد صدق رحمه الله، فهذا الرأي هو الصحيح للحديث.

(١) البخاري (٤٢٦١، ٤٢٦٢).

وأحمد في المسند ١: ٢٠٤. قال الشيخ شاکر في شرحه ٣: ١٩٢: إسناده صحيح.

(٢) البخاري (١٣٢٠) بلفظ: «فهلّم فصلوا عليه». [ما يتعلق بالنجاشي].

ولما توفي سعد رضي الله عنه كما هو معلوم حُمل إلى الصحراء فضُلي عليه فقالت عائشة: مروا بسعد علينا لندعو له... يعني على حجر نساء الرسول ﷺ.

فمَرُوا بسعد رضي الله عنه وأرضاه فقال بعض الصحابة: لا تُصلُّوا عليه في المسجد.

فقالت عائشة: ما أسرع ما نسي الناس، والله لقد صلي رسول الله ﷺ على سهل وعلى سهيل ابني بيضاء في المسجد<sup>(١)</sup>، وصدقت رضي الله عنها وأرضاها، فالصلاة جائزة والأولى أن يُصلى عليه في الصحراء لأنه الذي داوم عليه ﷺ، والسنة إذا وردت فلا كلام غيرها.

### الأمر الثالث: هل يُصلى على الغائب؟

ولأهل العلم فيه سبعة مذاهب أوردها ثم أذكر الراجح منها - إن شاء الله -.

١ - الصلاة على الغائب جائزة مطلقاً، وهو قول الشافعي وأحمد.

٢ - ومنع من الصلاة على الغائب المالكية والحنفية.

٣ - قال ابن عبد البر: يجوز أن يُصلى على الغائب في اليوم الذي يموت فيه.

٤ - قال ابن حبان: إن كان في جهة القبلة صلي عليه، وإن لم يكن فلا يصلى عليه، وهذا جمود كما قال ابن حجر.

٥ - لا يُصلى عليه إلا إذا مات في أرض لم يصل عليه فيها، وهذا رأي أبي داود والرويانى والخطابي وسوف يأتي توجيه كلامهم.

(١) سبق تخريجه ص ٨٦.

٦ - أن الصلاة على الغائب خاصة بالنبي ﷺ، لأن الله جعله يرى النجاشي، وأما غيره فلا لأنه لن يرى الميت.

واعتمدوا على حديث لابن عباس عند الواقدي بسند ضعيف لا يصح: أن الله سبحانه وتعالى جلّى لرسول ﷺ عن النجاشي حتى رآه، وعند ابن حبان عن جابر: لقد صلى ﷺ على النجاشي وإنه ليراه.

وعند أبي عوانة: صلى ﷺ وقد جلّى الله جنازة النجاشي، أو كما قال.

فقال هؤلاء: هو خاص بالنبي ﷺ.

٧ - أن الصلاة خاصة بالنجاشي، فليس فيه عموم لأن الفعل لا يعم إذا لم يقارنه القول، وهو مذهب لبعض الأصوليين كما قاله الشوكاني في (إرشاد الفحول).

فأي الأقوال أرجح، وما دليل كل قول؟

أما قول الإمام أحمد أن الصلاة على الغائب مشروعة مطلقاً فاستدلوا عليه بأن الرسول ﷺ صلى هنا وصلى على معاوية بن معاوية المزني، وقال ﷺ: «قوموا نصلي على هذا»، فاقترن قوله بفعله ﷺ ولم يرد مانع، فيبقى العموم، وقاعدة حمل العموم على وجهه أقرب من تخصيصه.

وأما الحنفية والمالكية فقالوا بعدم شرعية الصلاة، واستدلوا على ذلك بأن الرسول ﷺ لم يقل: صلوا على الغائب وإنما فعل هذا في ظرف من الظروف وفي حالة من الحالات، وبرغم كثرة من يموت من الصحابة في الغيبة فلم يصل على الغائب، فاقتضى هذا أنه خاص.

وأما ابن عبد البر فقال: يُصلى في اليوم الذي يموت فيه، ولكن يُرد عليه بأن العلة مجهولة، فلماذا خصصته بهذا اليوم؟ ولا دليل عندك.

وأما ابن حبان فقال: هي لمن كان في جهة القبلة، وهذا جمود كما قال ابن حجر.

فأي دليل يعضد ما ذهب إليه ابن حبان؟ وأي مستند له في ذلك؟ ولا يكفي الواقعة التي وقعت ما لم تقرنها علة إما معقولة أو دليل صريح وإلا فالعبرة بالعموم.

وأما من قال لا يصلّي عليه إلا إذا مات في أرض لم يصلّ عليه فيها، فهذا له وجه من النظر وقرائن الحال، والسياقات تؤيد ما ذهب إليه هؤلاء، وهو مذهب الروياني والخطابي وأبي داود.

لكن نقول: هل نُقل لكم أن الحبشة ليس فيها مسلمون حينذاك ولم يصلوا على النجاشي أم لا؟

وأما من قال هو خاص بالنبي ﷺ فليس بظاهر؛ لأن الأحاديث التي استدّلوا بها ضعيفة وليست بقائمة ولا يؤخذ من دلالتها الخصوصية له ﷺ ولو جُلّي له عن النجاشي.

وأما من قال: هو خاص بالنجاشي فيرد عليهم بمثل ما ردّ على ابن حبان بأنه جمود.

والصحيح أن يقال: الصلاة على الغائب المسلم مشروعة، وتتأكد إذا لم يُصلّ عليه في المكان الذي توفي فيه، وتتأكد أيضاً إذا كان له بلاء حسن في الإسلام كأن يكون مجاهداً أو مدافعاً أو مسؤولاً له مكانة في الدين.

وهنا مسألة: هل من صلّى على الغائب يُسقط فرض الكفاية للصلاة؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يُسقط فرض الكفاية.

وذهب آخرون إلى أنه لا يُسقط.

والصحيح أنه يُسقط فرض الكفاية لأن الناس المصلّين ولو كانوا غائبين فإنهم يقومون بما يقوم به الحاضر.

وأما قوله في الحديث: (نعى ﷺ لأصحابه النجاشي) فإن النعي إذا أطلق في الشريعة فهو على قسمين:

١ - بمعنى الإخبار.

٢ - وبمعنى البكاء والتضجر.

فأما إن كان النعي للإخبار واللغة تحتل ذلك يقال: نعى فلاناً إلى فلان أي أخبره، ويقال: نعى فلاناً على فلان، أي بكى عليه وتضجر من موته.

فأما بمعنى الإخبار فينقسم أيضاً إلى قسمين: ممدوح ومذموم.

فالنعي الممدوح في الإسلام هو الذي يخبر بموت صالح أو مسلم لقصد الصلاة عليه والدعاء له وحضور جنازته ودفنه والاعتاظ بموته، وهذا هو الذي عهد عنه ﷺ أنه كان ينعى أي يدعو الصحابة ليصلّوا على الميت، فهذا هو الممدوح.

والمذموم هو ما كان للشهرة ولتزكية الميت ولتأبينه كما يحدث في بعض الصحف وبعض وكالات الأنباء إذا مات رجل ولو كان كافراً عدواً لله! أشغلوا الناس بموته وعدّدوا حسناته... وهذا هو المذموم.

لأن فيه فعلاً من أفعال الجاهلية الذين كانوا يخبرون إذا مات الميت بالنعي، فيذكّرون الناس بموت الرجل ويعلنون على المنائر وفي الأسواق.

يقول الأول:

ألا صبح الناعي بخيري بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

يقول: أخبرنا هذا الناعي بموت هذين السيدين الجليلين... وهذا من الجاهلية.

وفي تاريخ ابن عساكر أن جحدر بن عدي لما حكم عليه الحجاج بالقتل استدعاه من اليمامة، وكان جحدر هذا فاتكاً ينصب الكمائن للقوافل.

فأحضروه إلى الحجاج، وفي الطريق قال لما رأى النخل عليه الحمام يتجاوب:

يميناً شاقني فازددت شوقاً      بكاء حمامتين تجاوباني  
تجاوبتا بلفظ أعجمي      على غصنين من غرب وبانٍ  
إلى أن قال:

إذا جاوزتما صخرات نجد      ونحلاً باليمامة فانعاني  
أي فأخبرا الناس بموتي لأنني كنت سيداً من سادات العرب كما يدعي.

وقال طرفة بن معبد لابنته لما حضرته الوفاة:

إذا مُت فانعيني بما أنا أهله      وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبدٍ  
وأما النوع الآخر فالنعي بمعنى النياحة ودعاء الويل والشبور والتأسف، فهو على قسمين:

١ - بكاء لا شيء فيه بل هو من الرحمة والرقّة، وقد أدخله بعض أهل العلم في السُّنة.

٢ - وبكاء فيه تضجر وتسخط ومخالفة لأمر الشارع، فهذا هو المذموم.

أما البكاء من الرحمة فقد بكى ﷺ في أكثر من واقعة.

وفي الصحيح أنه ﷺ ذهب ليزور سعد بن عباد فأتى فإذا هو

مغمى عليه فقال: «أما أخى؟» وبكى ﷺ. فقال ابن عوف: ما هذا يا رسول الله؟

قال: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا أو يرحم»<sup>(١)</sup> وأشار إلى لسانه.

وكذلك في الصحيح عن أنس أن بنت رسول الله ﷺ زينب دعت رسول الله ﷺ ليحضر ابنها وقد حضرته الوفاة، فأرسل إليها وقال لها: «لتصبر ولتحتسب، فإن الله ما أخذ والله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى»<sup>(٢)</sup>.

فأرسلت إليه وعزمت عليه لياتين.

وكان ﷺ في الصحيح رجلاً سهلاً، أي أنه يجيب، خاصة أنها ابنته وفلذة كبده رضي الله عنها وصلى الله وسلم عليه.

فقام وقام معه الصحابة، فسلمت له ابنها فأخذت نفسه تقعقع كما تقعقع الشنة في يديه ﷺ، فأخذ يبكي، فقال له الصحابة ابن عوف وغيره: ما لك يا رسول الله؟

قال: «هذه رحمة يجعلها الله في قلب من يشاء من عباده»<sup>(٣)</sup>.

وبكى ﷺ كما في الصحيح من حديث أنس لما توفي ابنه إبراهيم وقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(٤)</sup>.

فهذا البكاء سنة عند بعض أهل العلم أو هو جائز، وهو من رقة القلب ومن الرحمة، ومن تذكُر الوفاة، ومما جعل الله سبحانه وتعالى

(١) البخاري (١٣٠٤)، ومسلم في الجنائز (١٢)/(٩٢٤).

(٢)(٣) البخاري (١٢٨٤)، ومسلم في الجنائز (١١)/(٩٢٣)، بتأخير لفظ: «فلتصبر ولتحتسب».

(٤) سبق تخريجه ص ٩٠.

في قلوب الناس من الرحمة، ويرحمهم الله بسبب هذا البكاء على غيرهم.

والناس ثلاثة أقسام في هذه المسألة: طرفان ووسط.

فالطرف الأول من يبكي فيدعو بالويل والثبور - وهذا سوف يأتي - ويولول ويصيح ويتسخط، فهذا مذموم وصاحبه مأزور غير مأجور ولا مشكور.

والطرف الثاني: طرف لا يبكي فتجمد عينه ويقسو قلبه... فهذا مذموم أيضاً.

والطرف الوسط هو الذي يبكي البكاء الوارد، فيحزن قلبه وتدمع عينه ولا يقول إلا ما يرضي الله عز وجل، فإن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب، ولكن يعذب باللسان ويرحم، كما قال ﷺ.

قال ابن تيمية لما تعرض للكلام عن الفضيل بن عياض أنه لما دفن ابنه علياً ضحك على القبر، أي أنه وصل لحالة الرضا. فقال ابن تيمية ما معناه: إن هذا ليس مطلوباً في هذا الموقف والحال، ويبين أن الفضيل ورد على قلبه وارد البكاء والرقعة لموت ابنه ووارد الرضا والتسليم لله عز وجل، فلم يحتمل قلبه الواردين ففضل وارد الرضا فتبسم وضحك على قبر ابنه.

وأما الرسول ﷺ فكان قلبه أكبر وصدرة أوسع وأعلم بربه فاحتمل الواردين، وارد الرقة والبكاء ووارد الرضا، فجمعهما في قوله: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»، هذا الرضا «وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» هذا الحزن.

فجمع البكاء وجمع الرضا ﷺ ومقامه أشرف.

وأما القسم الثاني من أقسام البكاء: فهو قسم التضجر والسخط

والنياحة، وهذا هو المذموم الموزور صاحبه، فهو غير مأجور ولا مشكور.

ورد في حديث عند البخاري أن رسول الله ﷺ مرَّ على قبر وعليه امرأة تبكي فقال ﷺ: «اتقي الله واصبري».

قالت: إليك عني! - ولم تكن تعرف أنه رسول الله ﷺ - فإنك لم تُصَبْ كمصيتي.

فلما ذهب ﷺ قالوا لها: إن هذا رسول الله ﷺ.

فلحقته فقالت: يا رسول الله لم أعرفك.

فقال ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(١)</sup>، يعني ليس هذا وقت الصبر، فلو صبرت عند الصدمة الأولى لكان أولى وأفضل.

وفي الصحيح أن أبا موسى رضي الله عنه وأرضاه حضرته الوفاة فقال لأهله: إني أحذركم أن تنوح عليّ نائحة فإني أبرأ مما برىء منه ﷺ.

قالوا: ما الذي برىء منه ﷺ؟

قال: «برىء من الصالقة والحالقة والشاقة»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر: «إن النائحة إذا لم تتب يصبُّ على رأسها القطران وتكسى جلدًا من جرب» أو كما قال<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث ابن عمر: «الميت يُعذب ببكاء أهله عليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري (١٢٨٣)، ومسلم في الجنائز (١٥)/(٦٢٦).

(٢) مسلم في الإيمان (١٦٧)/(١٠٤).

(٣) مسلم في الجنائز (٢٩)/(٩٣٤) بلفظ قريب.

(٤) البخاري (١٢٨٦)، ومسلم في الجنائز (١٦)/(٩٢٧).

إذاً هذا هو الحزن المذموم... وحديث ابن عمر هذا يقودنا إلى مسألة وهي: هل الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟

أقول: الأحاديث في هذه المسألة وردت من حديث عمر وابن عمر والمغيرة بن شعبة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أن الرسول ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، هذا حديث عمر وابن عمر والمغيرة بألفاظ متقاربة وهو أصل في المسألة أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فكيف قابل أهل العلم هذا النص وغيره من النصوص؟ لقد انقسم العلماء إلى ست طوائف تجاه الحديث:

١ - منهم من قال: الباء هنا في قوله: (ببكاء) حالية، أي في حالة ما يكون عليه في الوقت الذي يكون عليه يعذب هو في قبره.

أي يبدأ العذاب ببداية بكائهم عليه.

٢ - ومنهم من قال: هو خاص بالكافر، فالكافر هو الذي يُعذب ببكاء أهله عليه، وأما المؤمن فلا يدخل في ذلك، وهذا رأي عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

وكانت تقول: والله ما كذب ابن عمر ولا كذب أبوه ولكن أخطأ، إن الرسول ﷺ مرَّ بقبر من قبور اليهود فقال: إنه يعذب ببكاء أهله عليه، وفي لفظ أن يهودية تبكي على قبر فقال: «إن هذه تبكي على هذا القبر وإن هذا الميت يعذب ببكائها»<sup>(١)</sup>.

٣ - ومنهم من قال: بأنه يعذب مطلقاً سواء كان مسلماً أو كافراً إذا بكى عليه أهله، وهو رأي لأبي هريرة كما في مسند أبي يعلى بسند مقبول قال: يقول أبو هريرة: والذي نفسي بيديه إن الشهيد ليخرج في

(١) البخاري (١٢٨٩)، ومسلم في الجنائز (٢٧)/(٩٣٢)، والميت هو امرأة يهودية.

سبيل الله فيهرق دمه ويقتل جواده، فيبكي عليه سفيه فيعذبه الله بكاء هذا السفيه.

٤ - ومنهم من قال: بأنه يعذب إذا أمر بذلك وأقره، ولا يعذب إذا نهى عنه.

٥ - ومنهم من قال: إن هذا العذاب توبيخ من الملائكة لحديث أحمد في مسنده أن رجلاً أغمي عليه فأخذت أخته تصيح وتقول: واعضداه، وانصيراه، واحببياه، واسنده.

فلما استفاق قال: والله ما قلت كلمة إلا قال لي الملك مثلها توبيخاً.

٦ - ومنهم من قال: بأن الميت يتألم لبكائهم ولا يتعذب، إنما يتألم ويصيبه مرارة وألم ولا يرتاح في قبره لأنهم يكون عليه، وهذا رأي الطبري والقاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية.

والراجح: الرأي الرابع وهو الذي دلّت عليه النصوص ورجّحه كثير من المحدثين وعليه سياقات الأحاديث، وهو الذي يقول: يعذب الميت إذا أمر بذلك أو أقرّ ولم ينه، وأما إذا نهى وبكوا عليه فلا يعذب إن شاء الله.

ولذلك كان الصحابة إذا حضرتهم الوفاة ينهون أهلهم أن يبكوا عليهم ويمنعونهم من ذلك لئلا يُعذبوا ببكاء هذا الحي.

هذه خلاصة المسألة، والراجح فيها، وبها نختم هذه الرسالة. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



## يوم يبعثر ما في القبور

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شُكراً شُكراً. الحمد لله الذي رفع السموات بلا عمد، وبسط الأرض في مدد، والحمد لله الذي خلق الإنسان في كَبَد، الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والصلاة والسلام على أبي الزهراء خيرة الأنبياء وصفوة الأصفياء، ما سرى الهواء، وما ترنم الطير في السماء، وما لمع نجم في الظلماء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس:

إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا وفي كل يوم واعظ الموت يندب  
إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي عملتم وكل في الكتاب مرتب  
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي نجيب به إذ ذاك والأمر أصعب

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ  
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴿يس: ٧٧ - ٨٣﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يا أيها الإنسان... يا  
من حمل همومه وغمومه... يا من تعدى حدود الله، وانتهك حرمت  
الله، وأكل نعم الله، واستظل بسماء الله، ووطئ أرض الله.

يا أيها الإنسان إنك سوف تُعرض على الله.

ولو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حيٍّ  
ولكننا إذا متنا بُعثنا فيسأل ربنا عن كل شيءٍ  
﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿الانفطار: ٦﴾، ما الذي  
خدعك حتى عصيت الله؟

ما الذي غرَّك حتى تجاوزت حدود الله؟

ما الذي أجهلك حتى انتهكت حرمت الله؟

يا أيها الإنسان أما كنت نطفة؟ أما كنت ماء؟ أما كنت في عالم  
العدم؟ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا  
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿[الإنسان: ١، ٢]﴾.

مسكين هذ الإنسان... حقير هذا الإنسان... صغير هذا  
الإنسان، أتى من ماء وأتى من عالم العدم وأتى من نطفة، فلما مشى  
على الأرض تكبر وتجبّر ونسي الله الواحد الأحد.

في المسند للإمام أحمد بسند جيد عن عبد الله بن جحش قال:  
أخذ رسول الله ﷺ بصاقاً ثم وضعه في راحته ثم أخذ يديره بأصبعه  
ويقول: «يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم خلقتك من مثل هذا ثم  
ربيتك، فلما تربيت جمعت ومنعت ومشيت على الأرض وللأرض منك

وئيد، ثم قلت: لن يعيدني كما أنشأني أول مرة<sup>(١)</sup>.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، من هذا المجرم الذي اعترض على قدرة الله؟

من هذا العاصي الذي أنكر البعث والقدوم على الله؟

صاح هذه قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد؟  
خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد  
هذا المجرم هو: العاص بن وائل الذي أكثر الله ماله وولده  
ولكنه كفر بلا إله إلا الله.

أتى إلى الرسول ﷺ بعظم بالٍ وفنته ونفخه أمام المصطفى ﷺ وقال: يا محمد أترعم أن ربك يعيد هذه العظام بعد أن يميتها؟

فقال ﷺ: «يميتك الله، ثم يبعثك الله، ثم يدخلك الله النار!»<sup>(٢)</sup>.

فيقول الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أتى يضرب لنا الأمثال ونسي مكرماتنا، ونسي معروفنا، ونسي جميلنا ونعمنا، وأتى يضرب لنا الأمثال اليوم ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من الذي أنشأه من العدم؟ من الذي أغناه من الفقر؟ من الذي أمشاه على رجله؟ ﴿أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠]، فما له نسينا اليوم؟  
هذا العاصي قُتل في بدر كافراً بالله العظيم، فهذه خاتمة كل مستكبر عنيد.

هذا العاصي أتاه واحد من الفقراء المسلمين وقد عمل له عملاً فقال: يا أبا عمرو أعطني أجرتي.

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٣٨٧)، وابن ماجه برقم (٢٧٠٧) بنحوه.

(٢) البخاري (٢٠٩١)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين (٣٥)/(٢٧٩٥) بصيغة قريبة.

قال: أتؤمن بمحمد؟

قال: نعم.

قال: أتؤمن بأن الله يبعثنا يوم القيامة؟

قال: نعم.

قال: فإذا بعثنا الله أعطيتك!!

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] والله لنبعثن كما نستيقظ... حفاة عراة غرلاً بهماً كما خلقنا أول مرة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤) [الأنعام: ٩٤].

نخرج من قبورنا مذهولين خائفين وجلين إلاً من رحم الله.

ولا يأمن من مكر الله ولا من عذاب الله ولا من لعنة الله إلاً من آمنه الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠١ - ١٠٤).

صح<sup>(١)</sup> عنه ﷺ أن الإنسان يخرج من قبره للبعث فمنهم من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق ركبتيه، ومنهم من يبلغ ترقوته، ومنهم من يبلغ سُرته، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً فلا يتكلم ﴿وَيَوْمَ

(١) مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٦٢)/(٢٨٦٤).

يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَلِّيكَ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [يس: ٨٠] قال أهل العلم: الشجرة بذرة أنبتها الله ورعرعها بالماء ثم يبست وأصبحت حطباً يوقد به النار.

وقال بعضهم: هما شجرتا: المرخ والعفار من شجر الحجاز، إذا ضربت إحدهما بالأخرى انقذح الشرار.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، يا أيها الإنسان... انظر إلى السموات بلا عمد.

يا أيها الإنسان انظر إلى الأرض في أحسن مدد، تفكر في من أتى بالهواء؟

ومن سیر الماء؟

ومن جعل الطيور تتراد بالنغمات؟

ومن جعل الرياح غاديات رائحات؟

ومن فجّر النسمات؟

ومن خلّقه في أحسن تقويم؟ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ [يس: ٨١].

سبحان الله! ما أقدر الله.

يقول عمر رضي الله عنه وأرضاه: والله لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

أي: لو لم يكن هناك بعث ونشور لأكل الأقوياء الضعفاء، وأخذ الظلمة الظالمين، وتجبر المتجبرون في الأرض.

مَثَّلَ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ      يوم القيامة والسماء تمور  
 إن قيل نور الدين جاء مسلماً      فاحذر بأن تأتي وما لك نور  
 حرمت كاسات المدام تعففاً      وعليك كاسات الحرام تدور  
 متى يستفيق من لم يستفيق اليوم؟

متى يتوب إلى الله من لم يتب هذه الساعات؟  
 متى يحاسب نفسه من لم يحاسبها قبل العرض على الله؟  
 خرج إبراهيم عليه السلام يوماً من الأيام فرأى جثة حيوان ميت  
 على الشاطئء تأكلها السباع.  
 فوقف عليها متعجباً وهو يقول في نفسه: كيف يعيدها الله يوم  
 القيامة وقد أكلتها السباع والطيور؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ  
 تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «نحن أحق بالشك من  
 إبراهيم»<sup>(١)</sup>، أي: لو كان إبراهيم يشك لكننا نحن أضعف وأولى أن  
 نشك، ولكن إبراهيم عليه السلام لا يشك.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۖ﴾ أي: لأزداد يقيناً إلى يقيني،  
 وإيماناً إلى إيماني، فليس الخبر كالمعاينة.

قال الله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي  
 قطعهن ومزقهن.

فقطع رؤوسها وفصل أرجلها وأكتافها وأيديها وفرق ريشها ثم  
 خلط الأربعة.

(١) البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم في الإيمان (٢٣٨)/(١٥١).

فقال الله له: ﴿أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فأخذ كل مجموعة من اللحم والعظام والريش فجمعه ووَزَّعَهُ على أربعة جبال ثم نزل في الوادي. ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠] فلما نزل قال: أيتها الطير تعالي بإذن الله تعالى، فبعث الله الأرواح فيها وكانت رؤوس الطير في يده فأقبل الريش والعظم وكل طائر يدخل في رأسه، فلما تركبت أجسامها في رؤوسها طارت ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فيا من شك في قدرة الله! ويا من شك في البعث والنشور!

تربح يوم يبعث الله الأولين والآخرين، يوم يناديهم ليوم لا ريب فيه ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ [طه: ١٠٨] فاعمل لذاك اليوم وتزَيَّنْ ليوم العرض على الله، والبس لباس التقوى وأكثر من الحسنات والأعمال الصالحة... فإنك راحل ولا بد.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿إِلَّا مَنَ اتَى اللَّهَ يَقْلَبِ سَلِيمٍ﴾

[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

أسأل الله أن يزيد إيماننا ويقيننا بهذا اليوم حتى نستعد له حق الاستعداد. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.



﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد... يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا  
خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُكُمْ مَّا خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ  
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

يقول البخاري في كتاب الرقاق من الصحيح: (باب ما يُحذر من زينة  
الحياة الدنيا): وقال الله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوُ﴾  
[الأنعام: ٣٢].

ثم قال رحمه الله: وقال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا  
مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من  
أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وفي ترجمة نوح عليه السلام أنه لما حضرته الوفاة قال له  
محبوه: كيف وجدت الحياة؟ لأنه عاش أكثر من ألف سنة منها ألف  
سنة إلا خمسين عاماً في الرسالة.

قال: وجدت الحياة كبيت له بابان... دخلت من هذا وخرجت  
من ذاك!

يقول أبو العتاهية للمهدي العباسي:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح      لتموتن وإن عمّرت ما عمّر نوح  
وهذا هو مصداق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: ٩٤]. قال بعض المفسرين: سبب نزول هذه الآية أن أبا جهل قال: يزعم محمد أن عند الله ملائكة عددهم تسعة عشر على النار. فأنا أكفيكم بعشرة وأنتم اكفوني بتسعة!

فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: ٩٤].

من الذي خرج من الدنيا بأحبابه وخلانته؟ من الذي اصطحب جيرانه وإخوانه؟ من الذي ذهب بالثياب والأحباب والأصحاب؟ ... لا أحد.

ولذلك يقول سبحانه في سورة أخرى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥) [مريم: ٩٣ - ٩٥].

قيمة الحياة أن تصرفها في رضوان الله وفي طاعته.

دقات قلب المرء قائمة له      إن الحياة دقائق وثوان  
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها      فالذكر للإنسان عمر ثان  
عند البخاري أن الرسول ﷺ قال لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»<sup>(١)</sup>، وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، أو كما قال.

أراد عمر أن يولي والياً على حمص فاختر سعيد بن عامر

(١) البخاري (٦٤١٦).

الجمحي من قريش، وكان عابداً زاهداً شاباً من شباب محمد ﷺ، لا يملك إلا عصاه وثوبه وصحفته وإبريقه.

يقول أحد العلماء: لما ملكنا الدين سخر الله لنا الدنيا، فلما ملكنا الدنيا وتركنا الدين أخذت من بين أيدينا الدنيا، فسلبت أراضينا وأخذت مقدساتنا.

فقال عمر - رضي الله عنه - لسعيد بن عامر: اذهب والياً على حمص.

قال: لا... لا أتولى الولاية، لأنها عسيرة عليّ.

قال: والله لتتولين لي إمرة حمص، أتضعون الخلافة في عنقي وتركونني؟!

فذهب سعيد واستعان بالله على هذه الولاية.

فلما وصل إلى حمص وكان على حمار يأكل قطعة من لحم فيها عظم ينهسه بيده.

قال له الناس: هل رأيت الأمير في طريقك؟

قال: أنا الأمير.

قالوا: لا تكذب علينا.

قال: والله أنا الأمير.

قالوا: أمير على حمار؟!

قال: نعم.

فنزل عندهم.

وكان من عادة عمر أن يطوف على أمرائه ويحاسبهم ويسأل منهم، فلما أتى إلى أهل حمص جمعهم وأجلس الأمير أمامهم وقال: ما ترون في أميركم وواليكم؟!

قالوا: ما ننقم عليه إلا أربع مسائل.

قال عمر: ما هي؟ اللهم لا تخيب ظني فيه.

قالوا: لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار، وله يوم في الأسبوع لا نراه ولا يرانا، ولا يخرج لنا في الليل مهما طرقتا بعد العشاء، ويغمر عليه أحياناً إذا جلس في مجلس القضاء لفصل الخصومات.

قال: أجب يا سعيد بن عامر، اللهم لا تخيب ظني فيه.

قال: يا أمير المؤمنين اعفني.

قال: والله لتجيب.

قال: أما قولهم أني لا أخرج حتى يرتفع النهار، فأنا ليس لي خادم، وامراتي مريضة، فأصلح إفطاري وإفطار أهلي ثم أفطر ثم أتوضأ وأصلي ركعتين ثم أخرج.

وأما قولهم لا أخرج يوماً في الأسبوع، فليس لي خادم فأغسل ثوبي وثوبها في يوم من الأسبوع.

وأما قولهم لا أخرج في الليل، فقد جعلت النهار لهم والليل لربي أصلي وأذكر الله وأقرأ القرآن.

قال: ولماذا يغمر عليك في مجالس القضاء؟

قال: لأنني حضرت مقتل خبيب بن عدي فسمعتة يقول: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً. فكلما تذكرت ذلك الموقف وأنا ما نصرته أغمر عليّ.

فازداد رفعة عند عمر.

يذكر الذهبي وابن كثير أن أبا العتاهية دخل على هارون الرشيد وقد بنى في الرقة قصرأ جميلاً بديعاً، فنظر إليه أبو العتاهية، فقال هارون الرشيد: ما رأيك يا أبا العتاهية؟

قال: قلت فيه شعراً.

قال: ماذا قلت؟

قال: قلت:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور

قال: هه - يعني زدني - .

قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور

قال: هه .

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

فبكي حتى أغمي عليه .

والمقصود من هذا أن هذه أمور مسلّات عند جمهور الناس، فلا ينقص الناس تحصيل العلوم في الأذهان لكن ينقصهم تطبيقها في الأعيان وفي الحياة.

يقول مسلم في الصحيح: وفد شبيبة على الرسول ﷺ منهم ربيعة بن كعب الأسلمي، فقال لهم ﷺ: «ألكم حاجة؟» .

فطلبوا حوائجهم... فمنهم من طلب رزقاً... ومنهم من طلب تمراً... ومنهم من طلب مالاً... إلا ربيعة بن كعب قال: يا رسول الله أريد مرافقتك في الجنة .

قال: «أو غير ذلك؟» .

قال: هو ذاك .

فقال ﷺ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(١)</sup>.

فمن يريد الجنة... يُكثِر من السجود لله.

وفي الحديث<sup>(٢)</sup>: أن عبد الله بن عمرو الأنصاري لما أتت معركة أحد اغتسل وودّع أطفاله وزوجته وبناته، وأتى إلى معركة أحد فكسر غمد سيفه على ركبته وقال: اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى... فقتل في سبيل الله وضرب بأكثر من ثمانين ضربة، لكنها في سبيل الله!

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم  
قال جابر - ابنه -: فأتيت إلى الرسول ﷺ وأنا أسأل عن أبي؛  
فقلت: أين أبي يا رسول الله؟

قال: «هو ذاك».

قال: فأخذت أبكي.

قال ﷺ: «أبك أو لا تبكي، والذي نفسي بيده يا جابر ما زالت  
الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته... والذي نفسي بيده يا جابر  
لقد كلّم الله أباك كفاحاً بلا تُرجمان، فقال: تمنّ».

قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً.

قال: فإنني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون... فتمنّ.

(١) مسلم في الصلاة (٢٢٦)/(٤٨٩). وأول الحديث مختلف.

(٢) رواه الترمذي (٣٠١٠) بألفاظ مختلفة. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه ابن ماجه في المقدمة (١٩٠)، وفي الجهاد (٢٨٠٠).

ورواه الحاكم في المستدرک ٣: ٢٠٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخترجه (أي البخاري ومسلم). لكن قال الذهبي في التلخيص بعد أن ذكر أن في الإسناد فيض بن وثيق: قلت: فيض كذاب. فالحديث من جهة المستدرک لا يصح.

قال: أتمنى أن ترضى عني فإني قد رضيت عنك.

قال: فإني قد أحللت عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً.

نسأل الله رضوان الله.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانيها  
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشرّ خاب بانيها  
فاعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن بانيها  
قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها

يذكر أبو نعيم وأمثاله في كتب السير أن عابداً من بني إسرائيل  
شابت لحيته وعمره ثمانون، فنظر إلى شيب في رأسه... ثم قال: يا  
رب أطعتك أربعين سنة ثم عصيتك أربعين سنة فهل تقبلني إذا تبت  
إليك؟

فسمع هاتفاً يقول: أطينا فأحبيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإذا  
عُدت إلينا قبلناك. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ  
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ  
وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ومن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن عاش على شيء مات  
عليه، ومن قضى حياته في اللهو مات على اللهو.

يقول ابن القيم في كتاب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء  
الشافى): حضرت الوفاة رجلاً كان مطبلاً مغنياً مزمرأ، فقالوا له: قل  
لا إله إلا الله... وهو في سكرات الموت.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب!.

قالوا: قل لا إله إلا الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب!!

فمات على ذلك، نسأل الله العافية.

ويقول ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين: قالوا لرجل من التجار: قل لا إله إلا الله.

قال: خمسة في ستة كم تصير؟

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧] ﴿[إبراهيم: ٢٧].

يا أيها الإخوة الأخيار، إن من المؤلم لقلوبنا ضياع أوقاتنا عند الكبار والصغار إلا من رحم ربك، والله يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥] ﴿[المؤمنون: ١١٥]. فنعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.

تجد الإنسان صحيحاً فارغاً ولا ذكر عنده ولا قرآن ولا عبادة.

يذكر الذهبي وابن كثير بأسانيد صحيحة أن الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة كان يصلي في اليوم واللييلة ثلاثمائة ركعة.

وكان خالد بن معدان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة... وذكروا عن الأئمة عجباً، ومن أراد أن يطالع شيئاً من ذلك فليقرأ سير أعلام النبلاء ليجد عبادة السلف وليجد كيف أنهم أعمارهم في طاعة الله وكيف تقربوا إلى الله.

الأمر الثاني الذي أحب أن تنتبهوا إليه جيداً هو تجديد التوبة دوماً وأبداً.

يقول ابن عباس: أصبَحُوا تائبين، وأمَسُوا تائبين، فإنكم لا تنفكون من ذنب.

وجد من الأجيال والشباب من بلغ الأربعين وهو لا يعرف المسجد ولا يعرف التوبة، ومنهم من ألغى صلاة الجماعة من حياته.

ومنهم من ألغى صلاة الفجر من برنامجه اليومي .

حضرت الأعمش الوفاة فبكت ابنته .

فقال: ابكي أو لا تبكي، والله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة خمسين سنة .

وسعيد بن المسيب يقول في سكرات الموت: والله ما أذن المؤذن من أربعين سنة إلا وأنا في مسجد الرسول ﷺ .

عباد ليل إذا جنّ الظلام بهم كم عابد دمه في الخدّ أجراه  
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

وعند الترمذي بسند صحيح قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع (وذكر:) عمره فيما أبلاه...»<sup>(١)</sup>، فأين صرفت الدقائق والثواني؟

﴿هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

أسأل الله لي ولكم الثبات، وأن يجعل حياتنا في مرضاته، وأن يجعلنا ممن يستعد ليوم تشيب منه الولدان... وممن يتدارك عمره ويفني ساعاته في مرضاة الله. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) الترمذي (٢٤١٧) بلفظ: «... حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه... وعن جسمه فيما أبلاه» .

## الطامة الكبرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد.

الطامة الكبرى في القرآن وفي السنة هي يوم القيامة، ويوم العرض الأكبر على الله.

وهي القضية الكبرى التي عالجها ﷺ للوثنيين من العرب؛ لأنهم فهموا كل شيء إلا الطامة الكبرى، وعرفوا كل شيء إلا الطامة الكبرى.

لقد فهموا كل الجزئيات إلا قضيتين اثنتين: قضية الإلهية، وقضية اليوم الآخر، فأنكروهما تماماً.

﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

يقول سبحانه وتعالى وهو يعالج هذه القضية ويدمغ أدمغتهم بهذه الأساسية الكبرى في الإسلام: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لِنَبْعَثَنَّهُنَّ بِمَا كُنَّ عَلِمَتْنَ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

يقول بعض العلماء: كان القرآن يتناول قضية اليوم الآخر على ثلاثة أضرب:

١ - إما بضرب الأمثلة .

٢ - وإما بالابتداء الجازم .

٣ - وإما بالقصص .

فضرب الأمثلة كقوله سبحانه وتعالى وهو يكلم أحد هؤلاء الوثنيين الذين رفضوا أن يؤمنوا بالله وباليوم الآخر ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴿يس: ٧٨ ، ٧٩﴾ .

فضرب الأمثلة يكون من حياة الناس ومما يراه الناس عياناً بياناً .

وكثير من الناس يؤمن لكن إيمان الظن بأن الله يبعث من في القبور وليس إيمان اليقين .

وهذه القضية لو آمناً بها حق الإيمان لما كذبنا، ولا غششنا، ولا احتلنا، ولا خادعنا، ولا تأخرنا على الصلوات، ولا أكلنا الربا، ولا فشا فينا الزنا، ولا جعلنا مجالسنا مسارح للغيبة، ولا هتك بعضنا عرض بعض، ولا أساء جار إلى جاره، ولا أخذت حقوق الناس ولا سلبت أموال الناس لأن هناك يوماً آخر .

قال عمر - رضي الله عنه وأرضاه -: والذي نفسي بيده لولا اليوم الآخر لكان غير ما ترون .

أي: لتغيرت الموازين ولسطا القوي على الضعيف ولهتك الظالم عرض المظلوم .

وأما القصص في البعث والنشور فهي كثيرة في القرآن . . . وما أجملها من قصص!

يقول بعض أهل السير: دخل عمر - رضي الله عنه وأرضاه -

المسجد في خلافته ويده درّة، وإذا برجل كبير السن يحدث الصحابة على كرسي من خشب في مسجد الرسول ﷺ.

فقال عمر: من هذا؟

قالوا: قاص.

قال: بماذا يقص؟

قالوا: يقص على الناس من كتب دانيال (رجل غبر في التاريخ).

فأخذ عمر درّته وتقدم إلى الرجل فضربه على رأسه وقال: ويلك! يقول الله عز وجل: ﴿تَمَنُّ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وأنت تقص قصص دانيال على الناس.

فاسمع إلى أحسن القصص في قضية البعث والنشور وفي قضية الطامة الكبرى... يقول تعالى:

﴿أَوْ كَأَلَّى مَرٍّ عَلَى قَوْمٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

هذا رجل من بني إسرائيل قيل: صالح، وقيل: نبي على اختلاف بين المفسرين، المقصود أنه مرّ بحماره على قرية بين بيت لحم وبيت المقدس وكان عهده بالقرية أنها حية أطيارها وحيواناتها وبشرها وحدائقها وبساتينها... فلما رآها قد هلكت فنظر إليها وقلب طرفه في السماء وضرب يمينه بيسراه وقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

فأراد الله أن يجري قضية الإمامة والإحياء عليه ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

عند بعض المفسرين: أن الله أماته ضحى وبعثه بعد مائة سنة في وقت العصر، فلما انتبه عصراً ظن أنه ما نام إلا من الصباح إلى العصر

ف قيل له: ﴿كَمْ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا﴾. ثم أدركه الورع فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قال الله له: ﴿بَلْ لَيْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قيل: كان عنده في خرجه على حمارة لحمٍ وعنب وطعام الله أعلم به فمكث الطعام مائة سنة لم يتغير.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ قيل: إنه لما قام بحث عن حمارة فوجد الجلد قد أصبح بالياً، فأراه الله أنه قد أصبح في عالم آخر وقد صار رماداً ورفاتاً ليريه الله عز وجل كيفية الإحياء بعد أن أراه كيفية الموت، فأعاد له حمارة كما كان خلقاً سوياً ثم قال له: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. انتبه لا يخالفك ذرة من شك أو ظن أو أوهام في قدرة الله.

عباد الله... قضية اليوم الآخر هي القضية الكبرى التي أتت بها الرسل بعد قضية التوحيد، فالقرآن يقرن كثيراً بين التوحيد والإيمان بالله وباليوم الآخر لأنه القضية التي متى ما رسخت في القلوب والعقول صلحت الأمة بإذن الله.

خرج إبراهيم عليه السلام إلى ضفاف نهر فرأى بقرة منحورة على شاطئ الماء، وقد أتت النسور والغربان والذئاب والكلاب تأكل من هذه الفريسة.

فقال: يا ربي أنت تعيد الخلق يوم القيامة وتعيد الحيوانات فكيف تعيد هذه البقرة؟ لأن لحمها أصبح في بطون السباع والطيور... فذكر الله لنا قصته في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] هو لم يشك لكن كما قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»<sup>(١)</sup>. وعند

(١) أحمد في المسند ١: ٢١٥، ٢٧١ وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٣٨).

البخاري في كتاب الأنبياء يقول ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

والمعنى عند المحدثين على طريقتين:

قيل: لو كان إبراهيم يشك فمن باب أولى أن نشك نحن لأننا أقل إيماناً منه، وهذا على وجه التواضع.

وقيل: ما دام أن هذا الشك قد خاطر قلبه فنحن لا نأمن على قلوبنا أن يأتيها وارد مثله.

والمعنى الأول هو الصحيح.

﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ﴾ يعني آمنت ﴿وَلَكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ فقال الله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قيل: ضمهن، وقيل: قطع رؤوسهن.

فقطع رؤوسها وأخذ الرؤوس في يده ونثر لحومها وريشها وأجنحتها ودماءها على الجبال ثم نزل في السهل وقال: تعالي بإذن الله. فأتت العظام وأتى الريش والأجنحة وتركب كل طائر في رأسه ورفرف وطار.

قال الله: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فلماذا لم يقل: واعلم أن الله على كل شيء قدير، قيل: لأن إبراهيم عليه السلام يعلم أن الله على كل شيء قدير.

● يقول ابن كثير في كتابه البداية: مرَّ عمر - رضي الله عنه وأرضاه - يوماً فسمع أبي بن كعب يقرأ بالناس قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فوضع الدرة من يده ووقع على الأرض وحمل إلى بيته ومرض شهراً كاملاً.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: أُلّف ابن وهب كتاباً في أهوال يوم القيامة فأتى يقرؤه على الناس فسقط مغشياً عليه ثلاثة أيام ثم مات في اليوم الرابع.

قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وتنكير اليوم تعظيم له فهو يوم وأي يوم.

وهذا هو أسلوب القرآن كلما أراد أن يذكر اليوم الآخر يؤكد الرجعة قال: ﴿يَتَأْتِنَهَا الْنَفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِزِّي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ يقول بعض المفسرين بأن سبب نزول هذه الآية: أن أبا جهل عليه غضب الله قال: يزعم محمد أن لربه تسعة عشر من الملائكة فأنا أكفيكم عشرة وأنتم اكفوني تسعة! فقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: بل هذه القصة سبب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

وقال سبحانه وتعالى راداً على من يظن أنه سيأتي يوم القيامة بماله وأولاده: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥) [مريم: ٩٣ - ٩٥].

ويقول سبحانه عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

قال أحد المفسرين: نعرض مكشوفين، فالسرائر والضمائر مكشوفة والجسم مكشوف والتاريخ مكشوف والسجل مكشوف لله رب العالمين.

أتى أعرابي إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أين ألقاك يوم الزحام. يعني يوم العرض الأكبر؟

قال ﷺ: «في إحدى ثلاث مواطن لا أغادرها: إما عند الصراط، أو عند تطاير الصحف، أو عند الميزان» أو كما قال ﷺ<sup>(١)</sup>.

ويؤخذ من هذا الحديث أن علم الصحابة كان علم اليقين، وأما علمنا فظن، والفارق بيننا وبينهم أننا نسمع عن اليوم الآخر ولكننا لا نعمل ولا نكدح لهذا اليوم... بخلاف الصحابة الذين جعلهم هذا العلم يستعدون بل ويشتاقون لذلك اليوم.

فهذا اليوم هو الذي جعل جعفرأ الطيار - رضي الله عنه وأرضاه - يأتي إلى مؤتة فتقطع يمينه وتقطع يساره ويحتضن الراية ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيده أنسابها

وهو الذي جعل أنس بن النضر يقول لسعد بن معاذ: إليك عني! والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة من دون أحد.

قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ ﴿٢٧﴾ [الفرقان: ٢٧].

والرسول هنا للعهد وهو محمد ﷺ.

فيقول الظالم: يا ليتني اتخذهت إماماً وقدوة، لأن الله أغلق أبواب الجنة بعد مبعثه ﷺ فلا تفتح إلا من بابه.

قال ابن تيمية: من اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدي الله الذي

(١) أحمد في المسند ٦: ١١٠، عن عائشة وليس عن الأعرابي، وبالألفاظ فيها بعض اختلاف. وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ٣٥٩ وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق، وبقي رجاله رجال الصحيح.

أرسل به محمداً ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا كلاماً، ولا ينظر إليه ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وهذا هو الحق، لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وعند مسلم في الصحيح قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاعر:

يا مدّعي حب طه لا تخالفه      الخلف يحرم في دنيا المحبين  
أراك تأخذ شيئاً من شريعته      وتترك البعض تدويناً وتهويناً  
خذها جميعاً تجد فوزاً تفوز به      أو فاطرحها وخذ رجس الشياطينا

ثم قال: ﴿يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، قيل: هم جلساء السوء وأدعياء الضلالة وعصابات الإجرام الذين وقفوا في طريق الأنبياء فصّدّوا الجيل عن بيوت الله.

ويقول سبحانه عن الطامة الكبرى: ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ١١٠ ﴿يَخْلَفْتُون بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ١١٣ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ١١٤ [طه: ١٠٢ - ١٠٤].

هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة عندما يأتي أهل الدنيا والأعمار الطويلة والساعات الفارغة التي صرفوها في الغناء الماجن، وفي الغيبة والنميمة، وفي شهادة الزور، ومتابعة السهرة الحمراء والمجلة الخليفة والصد عن منهج الله، فيقول الله لهم في آية أخرى: ﴿كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ١١٢ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّ الْعَادِينَ﴾ ١١٣ ﴿قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١١٤ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا

لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٦].

دُفِنَ المهدي الخليفة العباسي وكانت ميزانيته كما يقول الذهبي: ثلاثمائة ألف ألف دينار ثم سُلِبَ في صباح يوم باكر قيل: إنه شرب ماء بارداً فشرق!

فقال أبو العتاهية يشيعة:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح لتموتن وإن عمرت ما عمّر نوح  
ثم جاء بعده هارون الرشيد فبنى قصره في الرقة... قصرأ جميلاً  
جديداً وستره بالستور وجعل فيه الحدائق والزهور وأجرى فيه الماء  
ووضع فيه الحيوانات والطيور ثم قال للشعراء: ادخلوا القصر.

فدخل أبو العتاهية مع الشعراء فقال لهارون الرشيد:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور  
قال: هيه... يعني زد.

قال:

يُجْرَى عَلَيْكَ بِمَا أَرَدْتَ مع الغدو مع البكور  
قال: هيه... يعني زد.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشجة الصدور  
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور  
قالوا: فخلع الستور ونزل من القصر وسكن بغداد.

والوليد بن عبد الملك لما جاءته سكرات الموت أخذ يقول:

﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ ﴿٢٩﴾﴾

[الحاقة: ٢٧ - ٢٩].

أما أهل التقوى وأهل البصيرة فإنهم لا يقولون إلا كل حسن في مواقف الموت:

لما حضرت الوفاة سعيد بن المسيّب بكت ابنته فقال: يا بنتي... لا تبكي عليّ، فوالله ما أذن المؤذن من أربعين سنة إلا وأنا في مسجد محمد ﷺ.

والأعمش سليمان بن مهران الراوية الكبير في الكتب الستة لما حضرته الوفاة قال لابنته: لا تبكي عليّ، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة ستين سنة.

فهذه هي المؤهلات التي تنجي أصحابها يوم الطامة الكبرى. فالطامة الكبرى عرفها قوم معرفة اليقين، وعرفها آخرون معرفة الظن.

فأما الذين علموا هذه القضية علم اليقين فحافظوا على الصلوات الخمس وبرّوا مع الله ووصلوا الأرحام وأحسنوا إلى الجيران وصدقوا وأكثروا من ذكر الله واجتنبوا الحرام.

وأما أهل الظن فإنهم يصلون ربما مع الناس ويصومون ربما مع الناس، ولكنهم أهل فجور وتعدّ لحدود الله وانتهاك لحرماته.

في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ تناول ذراع الشاة فنهس منه نهسة فقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة أتدرون لماذا؟».

قالوا: لا ندرى يا رسول الله، الله ورسوله أعلم.

قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يقوم الناس إلى آدم فيقولون: يا آدم اشفع لنا عند ربك أما ترى ما نحن فيه؟» أو كما قال ﷺ.

«فيقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيعتذر ويقول: نفسي نفسي.

فيأتون موسى فيعتذر.

فيعسى فيعتذر.

فيأتون الرسول ﷺ.

فيقول: أنا لها أنا لها»<sup>(١)</sup>.

قال الحكمي رحمه الله:

واستشفع الناس بأهل العزم في إراحة العباد من ذا الموقف وليس فيهم من رسول نالها حتى يقول المصطفى: أنا لها وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرين، وهو الذي ندعو به له في أدبار كل أذان فنقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد»<sup>(٢)</sup>.

يقول ﷺ في الصحيح: «إذا جمع الله عز وجل الناس يقول الله يوم القيامة للإنسان: يا ابن آدم جعت فلم تطعمني.

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان جاع فما أطعمته، أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم مرضت فلم تعدني.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

(١) البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢). بلفظ فيه بعض اختلاف، والحديث طويل.

ومسلم في الإيمان (٣٢٧)/(١٩٤).

(٢) البخاري (٦١٤).

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً بن فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدت ذلك عندي»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من فعل خيراً وجده عند الله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ومنها: أن أقرب الناس من رب الناس أنفعهم للناس. وفيه حديث يحسنه مثل السخاوي: «الخلق عيال لله - عز وجل - وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»<sup>(٢)</sup>.

فالطامة الكبرى كانت قضية متحركة في أذهان الصحابة - رضوان الله عليهم - وفي أذهان السلف.

يذكر عن سفيان الثوري - رحمه الله - أنه مكث يردد: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة: ١] من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ [النازعات: ٣٤، ٣٥]. فهي الطامة التي لا أكبر منها، وهي التي أعظم من غيرها، وهي التي تطم بهولها على الناس.

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (٣٣) [عبس: ٣٣] وهي التي تصخُّ الأذان بصوتها ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ النَّارُ مِنْ آخِئِهِ﴾ (٣٤) وَأَمِئِهِ وَأَبْئِهِ ﴿٣٥﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥].

والزاد هناك تقوى الله عز وجل.

ويقول سبحانه: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (١) مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ [القارعة: ١، ٢]

(١) مسلم في البر والصلة (٤٣)/(٢٥٦٩). بلفظ مختلف.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في المشكاة (٤٩٩٨).

وسميت القارعة لأنها تقرع القلوب بهولها كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين.

وتقرع أبواب السلاطين والأغنياء والكبراء وتقرع أطراف الدنيا.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣] يقول أهل العلم: إذا قال الله للرسول ﷺ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه سوف يخبره، وإذا قال: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فإنه لن يخبره.

ثم أخبر عن بعض أهوالها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم... فإن الثبات في الحياة وعند الموت وفي اليوم الآخر من أهم مطالب الصالحين، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

يتحدث ابن القيم في «الجواب الكافي» عن سوء الخاتمة - والعياذ بالله - للمجرمين الذين يخذلهم الله بأعمالهم.

فقال: ذكروا أن رجلاً حضرته سكرات الموت فقالوا له: قل لا إله إلا الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب!

قالوا: قل لا إله إلا الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب.

فسألوا عنه فوجدوه مطبلاً مغنياً طروباً لاغياً لاهاياً لا يعرف كتاب الله ولا فرائض الله.

ويقول ابن أبي الدنيا في كتاب (المحتضرين): حضروا رجلاً من التجار انهمك في الدنيا وفي فجور الدنيا فقالوا: قل لا إله إلا الله.

قال: ٦×٥ كم تصير!!

قالوا: قل لا إله إلا الله.

قال: ٦×٥ كم تصير!!

وأما الصالحون فإن الله يشبهم في مثل هذا الموقف بحوله وقوته:

حضرت أبا زرعة الوفاة فأغمي عليه ولم يقل: لا إله إلا الله، فخاف أبنائه وتلاميذه وبكوا عليه.

قالوا: سبحان الله! يغمى عليه - وهو المحدث - ولم يفق، لا إله إلا الله.

فاستفاق فقالوا: دعونا نذكره بحديث معاذ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» وهو - أي أبو زرعة - يروي الحديث من عشرة طرق.

فأخطؤوا في السند!

فجلس أبو زرعة وقال: حدثنا هشيم قال: حدثنا فلان عن فلان عن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

ثم مات، وهذه من كرامات الأولياء وهي من التثبيت لعباد الله الصالحين، فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم يوم يُضل الله أعداءه.

### ● أمور تعين على التزود للطامة الكبرى:

أيها الفضلاء، إن مما يعين على التزود للطامة الكبرى عدة أمور:

**أولاً:** الإخلاص في العمل بأن تقصد به وجه الله وتحذر من الرياء فيه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. ويقول عز من قائل في الحديث الصحيح: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من أشرك معي في عمل تركته وشركه»<sup>(١)</sup>، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً.

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] والعمل الحسن هو ما جمع شرطين:

١ - أن يكون خالصاً لله كما سبق.

٢ - أن يكون موافقاً لشريعة رسول الله لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن تكثر من السجود، فعند مسلم عن ربيعة الأسلمي أنه قال للرسول ﷺ: أريد مرافقتك في الجنة.

فقال ﷺ: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»<sup>(٣)</sup>. وعند مسلم من حديث ثوبان: «فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة»<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً:** كثرة الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وعند الترمذي أن عبد الله بن بسر قال للنبي ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فدلّني على عمل أتشبث به.

(١) مسلم في الزهد (٤٦)/(٢٩٨٥) بلفظ قريب.

(٢) سبق تخريجه ص ٧١.

(٣) سبق تخريجه ص ١٢١.

(٤) النسائي (١١٣٩) بلفظ قريب. وابن ماجه (١٤٢٢). وأحمد في المسند ٥: ٢٧٦.

فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: قصر الأمل في الحياة الدنيا.

قال ابن عمر: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

وقال الربيع بن خيثم: أنا أتحرى الموت مع الأنفاس.

ولما بلغ سفيان الثوري الستين اشترى كفنأ.

وقال: حق على المسلم إذا بلغه الله الستين أن يشتري كفنأ.

خامساً: تجديد التوبة في كل حين. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، فإن العبد كلما أكثر من التوبة فإن الله يغفر له ذنبه لأن هذا دليل على إخباته وخوفه من ربه، وقد ثبت في الحديث الصحيح: «خير الخطائين التوابون»<sup>(٢)</sup>.

وعند أبي يعلى: أن الشيطان يقول: أهلك بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

سادساً: رد الحقوق والمظالم إلى أهلها قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان».

قالوا: ولو كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟

(١) الترمذي (٣٣٧٥) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي» ٩: ٣١٥: وأخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن جبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

أحمد في المسند: ٤: ١٨٨، ١٩٠.

(٢) الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٢٨).

قال: «ولو كان عوداً من أراك»! (١).

أخيراً... أسأل الله لي ولكم الفوز يوم الطامة الكبرى والدخول  
في جنات الذي على العرش استوى. والله أعلم.  
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



(١) البخاري (٧٤٤٥) بلفظ قريب. ومسلم في الإيمان (٢١٨)/(١٣٧).

## الطريق الأخضر

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور  
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي  
أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، إن الله على كل  
شيء قدير.

الحمد لله الذي أرسل محمداً ﷺ فكسر بدعوته ظهور الأكاسرة،  
وكسر بمبادئه آمال القياصرة، الذين طغوا وبغوا حتى أرداهم ظلمهم في  
الحافرة.

والصلاة والسلام على حامل لواء العز في بني لؤي، وصاحب  
الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي.

صاحب الغرة والتجليل المذكور في التوراة والإنجيل.

الطريق إلى الجنة قد سلكه محمد ﷺ.

وبيّنه رسول الهدى ﷺ:

«أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه...

فلما كانت غزوة غَنِمَ النبي ﷺ سُبُيًّا فقسَمَ وقَسَمَ له... قال ما على هذا اتبعْتُكَ...

فقال: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»<sup>(١)</sup>.

ودارت المعركة وقُتل شهيداً وأصبح من أهل الجنة إِنْ شاء الله لأنه صدق الله<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث ربيعة بن مالك الأسلمي ذاك الشاب المتوقد إيماناً الذي يريد الجنة يقول: يا رسول الله أريد مرافقتك في الجنة.

فيقول ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» أتريد هذا؟ أنت عازم على هذا الطريق؟

قال: هو ذاك يا رسول الله.

قال: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٣)</sup>.

فطريق الجنة هو كثرة السجود.

ويأتي ثوبان كما في صحيح مسلم يروي لنا حديثاً فيقول له ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ بِهَا دَرَجَةً»<sup>(٤)</sup>.

الطريق إلى الجنة طريق لا يعرفه إلا الخواص من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أتباع رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه النسائي (١٩٥٣)، وعبدالرزاق (٦٦٥١)، والطبراني في الكبير (٧١٠٨)، والحاكم (٦٥٢٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٦١٣/٢).

(٣) سبق تخريجه ص ١٢١.

(٤) سبق تخريجه ص ١٣٩.

والله أغلق الجنة فلا تفتح بعد رسالته ﷺ إلا من طريقه .

فمن سؤلت له نفسه أو اعتقد أنه سيدخل من طريق غير هذه الطريق أو يهتدي بهدي غير هدي الله الذي أرسل به محمداً ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ما معناه: كل أرض لم تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل قلب لم يهتد بهذا الدين فهو قلب مغضوب عليه .

ولذلك يقول معاذ، وكلكم يعرف معاذاً، ذاك الذي عاش العلم والقوة والحب والإيمان والطموح، معاذ التاريخ ومعاذ الأمة .

يقول: سرت مع الرسول ﷺ في الليل الدامس في الليل الداجي في آخر الليل .

والرسول ﷺ كان له ورد من القيام في آخر الليل يناجي في ليله ربه ويشكو لربه ذنوبه وخطاياہ وتقصيره وهو سيد الخلق وأعرف الناس بربه ومولاه .

والليل عجب! الليل يحب القرآن والقرآن يحب الليل .

قلت لليل هل بجوفك سر عامر بالحديث والأسرار  
قال لم ألق في حياتي حديثاً كحديث الأحباب في الأسفار  
قال معاذ: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته يدخلني الله الجنة، ويباعدني عن النار .

ما أحسن السؤال!

فهذا سؤال من أعظم الأسئلة التي وردت في العالم كل العالم .

فقال ﷺ: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه».

فيا من يسر للصالحين طريقهم... يسر لنا طريقنا، فالعون منك والسداد والهداية منك وحدك.

قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه» وهذا يسمّى الإجمال في الجواب قبل التفصيل، وهو أسلوب قرآني. ويسمّى اللف ثم النشر عند أهل البلاغة.

ثم قال: «تعبد الله عزّ وجل ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

ثم قال له ﷺ وهو يواصل حديثه الشائق الرائق إلى القلوب الوالهة يقول: «ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».

ثم يواصل ﷺ في بيان طريق الجنة فيقول: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة»، أي وقاء لك تجتن به وتتحصن به من النار.

ولذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

وكان مجنّي دنما كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر  
«الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار،  
وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا ﷺ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) [السجدة: ١٦].

ثم قال ﷺ ليختتم باللف بعد النشر وبالإجمال بعد التفصيل: «ألا أدلك على ملاك ذلك كله؟ أي: على ما يجمع لك شتات هذا الموضوع».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «كفَّ عليك هذا». وأخذ ﷺ بلسان نفسه.

قال معاذ: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟

قال: «ثكلتك أمك يا معاذ» أيخفى عليك هذا؟ والخطايا كلها من اللسان. «وهل يكبُّ الناس في النار على مناخرهم أو على أنوفهم إلا حصائد ألسنتهم؟!»<sup>(١)</sup>.

فيا من يريد الجنة... هذا هو طريق الجنة الذي وصفه ﷺ.

فإن الجنة مغلقة بعد مبعثه ولا يُدخل إلى الجنة إلا من طريقه ﷺ.

والرسول ﷺ فتح للناس كافة المستويات ليدخلوا بها الجنة.

وقل لبلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مصلياً  
توضاً بماء التوبة اليوم مخلصاً به تلقى أبواب الجنان الثمانية

في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال:  
قال رسول الله ﷺ: «إن للجنة أبواباً ثمانية فمن كان من أهل الصلاة  
دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب  
الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من  
أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد»، إلى آخر تلك الأبواب.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، ألا يدعى أحد من كل الأبواب  
الثمانية؟

هو يريد أن يدعى من الأبواب جميعاً.

(١) الترمذي (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣).

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويداً وتجيء في الأول  
هو يريد المركز الأول في الطاعات دائماً.

إن كان من الذاكرين فهو الأول.

ومن المجاهدين ففي محل الصدارة.

ومن العابدين هو الجبين.

ومن القادة والفاتحين هو الموجّه والسيف الشهير على أعداء الله.

فیتبسّم ﷺ ويقول: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»<sup>(١)</sup>.

إذا... فمن الناس من يدعى من أبواب كثيرة على حسب طاعته  
وتقواه وعلى حسب سلوكه إلى طريق الجنة.

ولكن البعض يرضى بآية ﴿فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ  
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وبعضهم من المخدولين كغلاة التصوف قالوا: نحن لا نعبد الله  
عز وجل طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره.

فلماذا تعبدونه ثكلتكم أمهاتكم؟

أتعبدونه زندقة؟

أم تلهياً؟

أم تلاعباً؟

قالوا: نعبد حياً!

قلنا: لكن الله عز وجل وصف أوليائه بأنهم يبتغون فضلاً من الله  
ورضواناً.

(١) البخاري (١٨٩٧، ٣٦٦٦) بلفظ قريب.

والله يقول لأوليائه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والله سبحانه وتعالى يقول لأصفيائه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وقال ﷺ قبل معركة بدر: «يا أهل بدر إن الله أطلع عليكم فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، والله يا أهل بدر ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة»<sup>(١)</sup>.

فيقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلا أن يقتلنا هؤلاء؟

قال: «نعم والذي نفسي بيده».

فألقي التمرات من يده وخلع درعه من على جنبه وأخذ سيفه فكسره على ركبته فقاتل حتى قُتل<sup>(٢)</sup>.

وليس على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما  
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما  
ويأتي جعفر الطيار فيقف في مؤتة وقد ترك زوجته وأهله وماله  
وشهرته ومنصبه وباع كل شيء وأتى بروحه إلى الواحد الأحد.

والذي يهدي روحه ليس كالذي يهدي عشرة أرزُل.

فالذي يهدي روحه أجود الناس.

(١) البخاري (٣٩٨٣، ٤٨٩٠) بلفظ قريب. والمقطع الثاني «والله يا أهل بدر...» لم أجده في البخاري.

ومسلم في فضائل الصحابة (١٦١)/(٢٤٩٤).

(٢) مسلم في الإمارة (١٤٥)/(١٩٠١) بلفظ مختلف.

والذي يسكب دمه أكرم الناس.

فلما رأى الروم نظر إليهم بكثرتهم ولكنه تطلع إلى ما بعد الروم وهي الجنة فأخذ الغمد وكسره على ركبته وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها  
طيّبة وبارد شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها  
كافرة بعيده أنسابها  
عليّ إن لاقيتها ضرابها

وصدق مع الله، فقطعت يده، فاحتضن الراية بجناحيه فضرب حتى استشهد رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩)  
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ  
أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وخبيب بن عدي يأخذه الكفار أسيراً فيدخلونه بيتاً غير مسقوف لتصهره الشمس.

ولكن إيمانه يخفف الضيق عنه.

ويأتي الجوع ولكن إيمانه يُشبعه.

ويأتي الظمأ ولكن إيمانه يرويه.

تقول إحدى النساء من اللواتي كنّ قريباً من خبيب: رحم الله خبيباً، والله لقد كنت أنظر إليه وقد حُصر في مكة في بيت خالٍ وإنه ليأكل قطاف العنب بين الحين والآخر.

فهو كما قال سبحانه عن مريم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَرِّمُ أَنَّى لِلْبِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿آل عمران: ٣٧﴾.

وخرج إلى ساحة الإعدام لتأتي ساعة الصفر في حياة المسلم، يوم يستعلي على كل شيء.

وخرج أهل مكة ليقتلوه ويتلذذوا برؤية جثمانه مصلوباً.

أسرقهم؟

أقتلهم؟

﴿أَنْقُتُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

فاجتمعوا في جمع حاشد في ضاحية من ضواحي مكة فقال لهم: أريد أن تمهلوني لأصلي ركعتين.

قالوا: صل ركعتين.

فقام يتوضأ وهو يعرف أن الموت سيكون بعد ركعتين.

فصلّى الركعتين ثم سلّم سريعاً وقال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن تقولوا أنني أطلت جزءاً من الموت لطوّلت صلاتي.

ثم قال: اللهم أخبر رسولك ما نلقى الغداة.

وفي سيرة موسى بن عقبة بسند صحيح أنه كان ﷺ وهو في المدينة وخبيب في مكة يقول: «السلام عليك يا خبيب... السلام عليك يا خبيب... السلام عليك يا خبيب».

ثم قال خبيب داعياً على المجرمين: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٠٤٥).

فرفعوه إلى مشنقة الموت.

فهل بكى؟

لا... لأن الأبطال لا يكون في ساعة الصفر.

هل جزع؟

لا... لأن الأبطال لا يجزعون ساعة الموت.

بل قال منشداً:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً      على أي جنب كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يُبارك على أشلاء شلوٍ ممزَع  
ثم قُتل... ولكنه حي عنده سبحانه وتعالى مع الشهداء إن  
شاء الله.

ومن الذين عرفوا طريق الجنة وعرفوا الناس بطريق الجنة إلى الله  
تبارك وتعالى عبد الله بن المبارك الذي سمع بداعي الجهاد في الشمال  
في خراسان فترك الحرم وأخذ بغلته وركبها.

فقال له الناس: ابقَ في الحرم فالصلاة الواحدة بمائة ألف صلاة  
فيما سوى الحرم.

قال: لا.

بغض الحياة وخوف الله أخرجني      وبيع نفسي بما ليست له ثمننا  
إني وزنت الذي يبقى ليعدله      ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا  
هؤلاء هم الذين عرفوا طريق الجنة، أما من أضاع طريقها وضلَّ  
عن معالمها، فإنهم لا يتذكرونها إلا ساعة الندم ولحظة الموت.

كان هارون الرشيد يقلِّب وجهه في الأرض عند موته وينظر إلى  
جيشه العظيم ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

والمعتصم ابنه لما جاءته السكرات قال: أموت الآن؟ قالوا: نعم. ظن أن الموت للعجائز وكبار السن، فبكى وقال: والله لو كنت أعلم أنني أموت اليوم ما عملت ما عملت.

وغيرهما كثير، نسأل الله العافية، وليس هذا مبحثنا.

وطريق الجنة ليس للرجال فحسب لأن في الجنة مجالاً للنساء.

والله عز وجل يقول بعد أن ذكر الأولياء والأخيار: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

والرسول ﷺ يقول: «المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها»<sup>(١)</sup>.

لأن المرأة المسلمة هي نصف المجتمع يوم أن تتقي الله في رسالتها. ويوم أن تعرف أن طريق الجنة لا يمكن أن يتحقق إلا بطاعة الله الواحد الأحد ثم في طاعة زوجها.

ويوم تعلم أن سترها وعفافها ستر للإسلام ولهذا الدين، وأن بقاءها في بيتها نصرة لهذه المبادئ الخالدة.

والمرأة يوم تخجل من الواحد الأحد أن تتبرج أمام الأجانب، ويوم تحفظ زوجها بالغيب وهي حافظة وراعية ومحاسبة على ذلك.

والمرأة يوم تربي العلماء والأدباء والشهداء والصديقين في بيتها ستكون بحول الله ممن سار على طريق الجنة.

فجزى الله الأمهات خير الجزاء يوم يكن حاملات للمبادئ الأصلية.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في المشكاة (٣٢٥٤).

ويوم يكن مصليات صائمات عفيفات متقيات للواحد الأحد كعائشة وأسماء.

منا الفواطم ربات العلا ولنا كل الزيانب هم أهل وجيران عائشة رضي الله عنها أعطاها معاوية بن أبي سفيان مائة ألف درهم فتصدقت بها وهي صائمة.

فقال لها جاريتها: لماذا لم تبقي لنا درهماً أو درهمين نشتري لك لحماً لتفطري عليه؟!

قالت: نسيت نفسي، لماذا ما ذكّرتني؟

أيها المسلمون... إن من أراد الجنة وأراد أن يدل على طريقها فعليه بأمور:

أولاً: أن يكون دليله في هذا كتاب الله عز وجل وستة رسوله ﷺ.

ثانياً: أن يكون ليناً في دلالته ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَيِظَ الْقَلْبِ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويقول الله للداعية الكبير ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ويقول: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

أسمعت بأشد من فرعون إجراماً في المعمورة؟

لقد أرسل الله له موسى فوصّاه وأخاه هارون وهما في الطريق ذاهبان إلى ذاك الطاغية بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعَلُّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

إننا يوم ندعو الناس رجالاً وإنائاً... كباراً وصغاراً... رؤساء

ومرؤوسين إلى طريق الجنة لا بد أن ندلّهم على الطريق ونحن رحماء  
ليّنين سهلين.

قال ﷺ في الصحيح لما أرسل أبا موسى ومعاذًا: «بشرا ولا  
تنفّرا، ويسّرا ولا تعسّرا»<sup>(١)</sup>، والدليل الماهر لا ينقّر القلوب.  
والموجّه لا يخدش الكرامات.

والداعية لا يجرح الشعور.

فهو يدل على الجنة لكن بإيمان وحب وطموح.  
وعليه أن يتدرج بالناس برفق إلى أن يأخذهم إلى درب الفلاح.  
أسأل الله أن يوفقنا إلى طريق الجنة والتمسك به إلى أن ندخلها.  
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



(١) البخاري (٣٠٣٨، ٤٣٤١)، ومسلم في الجهاد (٧)/(١٧٣٣)، كلاهما بلفظ «يسّرا ولا  
تعسّرا، وبشرا ولا تنفّرا...».

## طَلَابُ الْجَنَّةِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى جاءه اليقين، فصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيها الناس متى كانت أمة محمد ﷺ ضائعة؟

متى كانت لاهية؟

متى كانت اهتماماتها هوايات؟

متى كان ليها ضياعاً ونهارها تفلتاً على منهج الله؟

متى كنا نجعل الفن هواية والكرة مهمة والرسم إبداعاً؟

متى كان سَقَطَةُ الناس نجوماً ونجومها مطاردين مبغدين؟

يوم انطمست معالم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾

[الفاتحة: ٥].

أيها المؤمنون! يا عصابة الرسول محمد ﷺ.

بثكم ربكم شعاعاً من الفجر على رغم من طغى وتمرد، فاسمعوا قصة الوفاء بيدر صاغها من يريد إياك نعبد، جنة الله بشرى بكرام يقرع الباب بالتحية أحمد، يا معالي، يا فجر، يا تاريخ، يا كل مسلم، يا موحد، يا بطولاتنا.. إذ الكفر ألقى بكلاليه وأرغى وأزبد، اقرؤوا سيرة الرسول محمد ﷺ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

كان أجدادنا رجالاً يحبون الجنة فدخلوا الجنة، فلما أتى خلف من بعدهم تنكروا للجنة فما أحبوا طريقها ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] فما باعوا أموالهم وأنفسهم لله وما شروا منه السلعة.

خلق الله الجنة فقال: تكلمي.

قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

فخلق لها خلقاً قال: أريد أن تدخلوا الجنة.

قالوا: ما الثمن؟

قال: أرواحكم.

قالوا: أين ميدان البيع والشراء؟

قال: المعركة.

قالوا: ربح البيع لا نقيـل ولا نستقيل.

وأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وأنزل الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن

قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴿[الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

فالمبادئ لا تقوم إلا على رجال.

والمبادئ لا تزرع إلا بدماء.

ولذلك كان معلمنا ﷺ شجاعاً بما تعنيه كلمة الشجاعة من معنى.

وجاء أصحابه شجعاناً.

أبو بكر صديق، وعمر قتيل، وعثمان ذبيح، وعلي ضرج بدمائه.

قُتل من أصحابه ﷺ ثمانون بالمئة.

يقول ﷺ قبل معركة أحد بيوم واحد على المنبر: «والذي نفسي بيده ما من قتيل يقتل في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم قتل في الدنيا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك»<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر: «إن الله يقول للشهداء يوم القيامة: من قتلکم؟ قالوا: أعداؤك... قال: فيم قُلتُم؟ قالوا: فيك... قال: غفرت لکم».

وأنا أريد أن أطوف معكم في يوم أحد لنرى كيف كان أجدادنا وكيف أصبحنا وماذا قدّمنا للإسلام؟

أين شهداؤنا؟

أين بطولاتنا؟

أين أثرنا في نشر هذا الدين؟

(١) البخاري (٢٣٧، ٢٨٠٣، ٥٥٣٣) بلفظ قريب.

ومسلم في الإمارة (١٠٣، ١٠٦)/(١٨٧٦).

أين الدماء؟ أين الأموال؟ أين السهر؟ أين التضحية؟

لا شيء.

وقف ﷺ قبل أن تبدأ معركة أحد بيوم فاستشار الناس وأعلن القتال على أبي سفيان والمشركين، فاستشار أصحابه ثم قال: ما ترون أيها الناس أنقأتلهم في الطرقات أم نخرج إليهم في جبل أحد؟

فأما كبار الناس فقالوا: يا رسول الله بل نبقي مكاننا في طرقاتنا وفي بيوتنا فإذا دخلوا علينا قاتلناهم، فوافقهم.

ولما انتهى الكلام خرج مجموعة من أصحابه وشبابه ثمانون شاباً فلبسوا السيوف وأخذوا الخوذات على الرؤوس فأتوا ينشدون خارج المسجد بصوت مرتفع.

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً ثم هتف شاب في العشرين من عمره فقال: يا رسول الله اخرج بنا إلى أحد لا تحرمنا دخول الجنة، والله لأدخلن الجنة.

فوقف رسول الله ﷺ يسمع لهذا القول الحار والنشيد الغالي فتهتز كل شعرة من جسمه وتفور كل قطرة من دمائه ويعلن أن الجنة قد فتحت أبوابها وأن الله قد تجلّى لعباده، فيقول لهذا الشاب: «بِمَ تدخل الجنة؟».

أين شبابنا في العشرين؟ أصحاب جمع الطوابع، وهوايات المراسلة، وتشجيع النوادي، والسفر إلى الخارج، وتربية الحمام، والصيد بالصقور في الصحراء؟

قال: «بِمَ تدخل الجنة؟».

قال: باثنتين، بأني أحب الله ورسوله ولا أفرُّ يوم الزحف.

فدمعت عيناه ﷺ ورفع يديه وقال: «إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقِكَ»<sup>(١)</sup>  
 ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>  
 [العنكبوت: ٦٩].

وخرج رسول الله ﷺ للمعركة، وقبل المعركة بساعة سلَّ ﷺ سيفه وقال: «مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السِّيفَ؟». قال الناس: نحن جميعاً نأخذه. قال: «مَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ؟».

قال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «حَقُّهُ أَنْ تَضْرِبَ فِيهِ بِالْكَفَّارِ حَتَّى يَنْحِنِيَ»<sup>(٣)</sup>. هل سمعتم بسيف ينحني من الضرب؟ نعم... بكف أصحاب محمد ﷺ.

فأخذه وهو يرتجز:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل  
 أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول  
 فضرب به حتى انحنى وردّه منحنيًا للرسول ﷺ. وظهرت  
 البطولات وفتحت أبواب الجنة وشاركت الملائكة واندفعت أبواب  
 السماء بكتائب يقودها جبريل، ونزل على جبل أحد وأصبحت القيادة  
 المشتركة بين جبريل ومحمد ﷺ.

بل قال أهل العلم: القائد الأعلى محمد ﷺ.

وبدأ أصحابه يقدّمون توضيحات ما سمع التاريخ بمثلها.

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/٦٣).

(٢) مسلم في فضائل الصحابة (١٢٨)/(٢٤٧٠) بلفظ قريب.

لا والله، لا في التاريخ النصراني ولا اليهودي ولا الشيعي، ولا قبل التاريخ ولا بعد التاريخ، ولا في الجاهلية ولا في الإسلام، ما سمعنا أن رجلاً قدم شجاعة كشجاعتهم ذاك اليوم.

فلماذا؟

لأنها إما حياة أو موت، إما أن يُزال الدين من على وجه الأرض أو ينتصر الحق.

وسوف أعرض نماذج من شباب الله الذين دخلوا جنة عرضها السموات والأرض.

دخل عبد الله بن جحش قبل المعركة لما رأى السيوف تطيح بالرؤوس والرماح تلعب بالأكتاف فقال: يا رب أسألك هذا اليوم أن تلاقي بيني وبين عدو لك شديد حَرَدِه، قويُّ بأسه، كافر بك، فيقتلني ثم يبقر بطني ويجدع أنفي ويفقأ عيني ويقطع أذني، فألقاك يا رب بهذه الصورة، فإذا سألتني يوم القيامة لم فعلت هذا؟ فأقول: فيك يا رب<sup>(١)</sup>.

وقاتلت معنا الأملاك في أحد      تحت العجاجة ما حادوا وما انكشفوا  
سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا      إياك نعبد من سلسالها رشفوا  
في كفك الشهم من جبل الهدى طرف      على الصراط وفي أرواحنا طرف  
واندفع مصعب بن عمير وحمل الراية واستبسل استبسلاً ما سمع  
الدهر بمثله، فضرب ثمانين ضربة واستشهد بجانب العلم.

ثم اندفع قتادة بن النعمان وواصل المسيرة فضربه كافر فأسقط عينه اليمنى حتى أصبحت معلقة على خذّه بعِزْق واحد، فأتى إلى القائد العظيم ﷺ في الصف الأول وقال: يا رسول الله عيني، أما تنظر عيني؟

(١) الحاكم في المستدرک ٣: ١٩٩، ٢٠٠ بلفظ قريب، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. قال الذهبي في التلخيص: مرسل صحيح.

قال: «ادن مني». فردّها بيده وقال: بسم الله، فعادت أجمل من الأخرى.

ومنا الذي سالت على الخدّ عينه فرُدّت بكف المصطفى أحسن الرد فصارت على حسن بأحسن حالها فيا حسن من عين ويا حسن من ردّ وتقدم سعد بن الربيع وقال: اللهم إني أبرؤ إليك مما فعل المشركون، وأبرؤ إليك مما صنع من انهزم من المسلمين، فقاتل وقُتل فاندفع دمه يجري على الأرض.

وقال ﷺ: «أين سعد بن الربيع؟».

قالوا: لا ندري يا رسول الله.

قال: «يا زيد بن ثابت اذهب فالتمس سعد بن الربيع».

قال زيد: فأتيت فإذا هو في حفرة ودمه قد غطاه، وأصبح في الرمق الأخير مودعاً الدنيا مستقبلاً الآخرة وهو يطل على حياة جديدة وعلى قصور وعلى أنهار وعلى أزهار وعلى مكالمة الله.

قال زيد: كيف تجدك يا سعد؟

قال: يا زيد أبلغ رسول الله السلام وقل له: جزاه الله عنا خير ما جرى به نبياً عن أمته، نشهد أننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم تبسم ومات<sup>(١)</sup>.

ثم تقدّم أنس بن النضر ففتك بالأعداء فتكاً عجيباً، فلما ضرب سال دمه وقال: إليك عني يا سعد والذي نفسي بيده إنني أجد ربح الجنة من دون أحد<sup>(٢)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام (٩٤/٢) بنحوه.

(٢) البخاري (٤٠٤٨) بلفظ مختلف.

وثار الصوت في المدينة وارتفع صياح النساء، وأصبحت الغارة تشنُّ من قرب عاصمته ﷺ والملائكة بين السماء والأرض، والحرب مشتبكة بين الكفر والإيمان.

إما سعادة ونصر وإما سحق وإبادة.

فثار حنظلة شاب من المدينة لما سمع الصوت وهو جُنُب فأخذ سيفه بلا غمد فقاتل فقتل في سبيل الله، فرفعته الملائكة في السماء والنبي تنهمر دموعه وهو يقول: «والذي نفسي بيده إني أرى حنظلة تغسله الملائكة بين السماء والأرض في صحاف الذهب من مياه المزن».

قالوا: ولم تغسله الملائكة؟!

قال أهله: مات جُنُباً<sup>(١)</sup>.

وتقدم حمزة رضي الله عنه وقتل سبعة من القادة ثم أثنى بالجراح ورُمي بحربة فلقى الله.

ثم وقف ﷺ على حمزة والشهداء وقال لحمزة وقد رآه مقطّعاً أمامه: «والذي نفسي بيده لم أقف موقفاً أغيظ من هذا الموقف، والذي نفسي بيده لئن ظفرت بهم لأمثلنَّ منهم بسبعين»<sup>(٢)</sup>.

ثم أتى عبد الله بن عمرو الأنصاري فقاتل فقتل وقُطِعَ إرباً إرباً وبكى ابنه جابر فقال له ﷺ: «ابك أو لا تبك، والذي نفسي بيده ما

(١) الحاكم في المستدرک ٣: ٢٠٤ ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي في التلخيص. والحديث بلفظ مختلف.

والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ١٥، رواه عن الحاكم، وقال عنه مرسل. لكن قال ابن التركماني في تعليقه على السنن الكبرى، المسمى بـ«الجوهر النقي»: قلت: مرسل صحابي... ومرسل الصحابي عندهم كالمتصل.

(٢) أخرجه البخاري بنحو السياق، وانظر سيرة ابن هشام (٨٣/٢).

زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده إن الله كَلَّمَ أباك بلا ترجمان فقال الله: تَمَنَّى.

قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية.

قال: إني قد كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون، فتمنَّ.

قال: أن ترضى عني، فإني قد رضيت عنك.

قال الله: قد أحللت عليك رضواني لا أسخط عليك أبداً<sup>(١)</sup>.

وارتفعت أرواح الشهداء، وقتل سبعون، وسال دمه ﷺ على جبينه ودخل المغفر في رأسه وانكسرت رباعيته وأُثخن بالجراح حتى سقط على الأرض.

وأتى أبو سعيد وقال: يا رسول الله أسألك بالله أن تأذن لي أن أمصّ دمك، وهو الدم الذي يسيل منه لينظف الجراح، فتقدّم ومص الدم وقال رسول الله: «من يسهه أن يرى رجلاً من أهل الجنة فليُنظر لهذا».

ولما انتهت المعركة وقف ﷺ ودمه يغلي على حمزة وإخوانه الشهداء متأثراً مجروحاً، ولكنه يعلم أن مبدأه سوف ينتصر وسوف يبقى والعاقبة للمتقين.

فقال: «صَفُّوا ورائي لأثني على ربي»<sup>(٢)</sup>.

سبحان الله! تشني على ربك وأنت مصاب؟... نعم.

تشني على ربك وقد قُتل أصحابك؟... نعم.

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم هذه بطولات أهل الجنة وهم سلفكم الصالح، وهم والله الذين

(١) انظر سيرة ابن هشام (٩٦/٢).

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٩٥/٢).

نصروا هذا الدين ورفعوه في معالم الدنيا ونشروه في بقاع الأرض ولم يقدموا عليه مالا ولا أهلا ولا ولداً.

عباد ليل إذا جنّ الظلام بهم      كم عابد دمعته في الخد أجراه  
وأشدّ غاب إذا نادى الجهاد بهم      هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه  
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً      يشيّدون لنا مجدداً أضعناه  
أولئك هم السلف الذين رفعوا راية لا إله إلا الله خفاقة على  
جبال وسهول وبحار الدنيا.

وأما الذين جاؤوا من بعدهم فهم قد شهدوا الهزيمة لا النصر... والفشل لا النجاح... والذل لا العزّ.  
لماذا؟

لأنهم رضوا بالحياة الدنيا واستبدلوها بالآخرة، رضوا بالزراعة والتجارة وبالوظيفة وبالزوجة وبالولد وتركوا جنات عرضها السموات والأرض.

فأصبحت الشهوات مقدمة على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وأصبح الحرث والزراعة مقدماً على مسألة العبودية وعلى نشر الدين في الأقطار.

لقد بُعثت هذه الأمة مجاهدة ولم تُبعث مزارعة لاهية لاعبة.

وأنا لا أحرم الزراعة والتجارة والأعمال.

لأنها مباحة لكنها إذا عارضت الدين ونشره فعند ذلك نذمها وهي تستحق الذم حينذاك.

فيا أيها المسلمون عودوا إلى دينكم تجدوا كل الخير وكل النصر وكل العزّ.

وتخفّفوا قليلاً من الشهوات لتكونوا من أهل الجنة، كما كان  
أسلافكم. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



## يا حبذا الجنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد...

أيها المسلمون... لنستمع إلى أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه وهو يروي لنا حديثاً يصل إلى القلوب مباشرة ولا يفهمه إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

يقول رضي الله عنه وأرضاه: قال الناس للرسول ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال ﷺ: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب».

ثم قال: «يجمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه فيأتيهم

تبارك وتعالى فيقول الله لهم: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمن كان يعبد الشمس تبع الشمس، ومن كان يعبد القمر تبع القمر، ومن كان يعبد الطواغيت تبع الطواغيت.

وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم سبحانه وتعالى فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا.

فيأتيهم ربهم على صورته تبارك وتعالى فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا.

فيوضع الصراط وتقف الملائكة بجانب الصراط ولا يتكلم أحد إلا الأنبياء والرسل يقولون: اللهم سلّم سلّم... اللهم سلّم سلّم... اللهم سلّم سلّم.

ويقول ﷺ: «وعلى جنبتي الصراط كلاليب مثل شوك السعدان أتعرفون السعدان؟»<sup>(١)</sup>.

قالوا: نعم يا رسول الله.

وفي صحيح مسلم: كأنك رعى الغنم يا رسول الله - لأنه عرف السعدان -.

قال: «نعم، وما من نبي إلا رعى الغنم»<sup>(٢)</sup>.

قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم عظمها إلا الله الواحد القهار، فتتخطف الناس، فناج مسلم... ورجل مخدوش منها ثم يسلم... ورجل مكدوس على وجهه في النار».

(١) البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧). بلفظ قريب، والحديث طويل.

ومسلم (٣٠٢)/(١٨٣).

(٢) البخاري (٢٢٦٢، ٥٤٥٣، ٣٤٠٦).

فيأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن تخرج من النار من كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً، فيخرجون وقد امتحشوا - أي أحرقوا - وصهروا وهم يوحدون الله (ولا يخرج من النار مشرك أبداً)، فيخرجون وقد امتحشوا إلا مواضع السجود فإن الله حرم على النار أن تأكل مواضع السجود (لفضل السجود) فيغمسون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة.

وفي الصحيح: على جباههم: هؤلاء الجهنميون عتقاء الله من النار.

وتحدث رسول الله ﷺ عن آخر من يدخل الجنة وهو رجل يخرج منه سبحانه وتعالى من النار فيقف هذا الرجل ووجهه مقابل للنار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فقد أحرقني ذكاؤها وقشبي ريحها.

فيقول الله له: يا ابن آدم هل عسيت إن صرفت وجهك عن النار أن تسأل غير ذلك؟

قال: وعزتك وجلالك لا أسأل غير ذلك.

فيصرف الله وجهه عن النار إلى قِبَل الجنة.

فلما أبصر الجنة ورأى زهرتها ونضرتها ونعيمها وسرورها قال: يا رب قربني إلى باب الجنة.

قال الله له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك وما أظلمك، إن قدمت إلى باب الجنة لا تسألني غير ذلك؟

قال: لا وعزتك وجلالك لا أسألك غير ذلك.

فيقدمه تبارك وتعالى إلى باب الجنة غير أنه لا يدخل الجنة.

فلما رأى أنهارها ودورها وقصورها ونعيمها وسرورها قال: يا رب أدخلني الجنة.

فيقول الله له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك وما أظلمك! أما أعطيتني الوعود والمواثيق ألا تسألني غير ذلك؟!

فيقول: يا رب بعزتك وجلالك لا أكون أشقى الناس بك اليوم. فيدخله الله الجنة، فلما وصل إلى الجنة قال الله له: تمنّ.

قال: أتمنى كذا وكذا، وفي صحيح البخاري: فيذكره الله بالأشياء، يذكره بالقصور، ويذكره بالأنهار، ويذكره بالدور، ويذكره بالحدور العين، وما زال ربه يذكره حتى تنقطع أمانيه.

فيقول: ألا تتذكر شيئاً؟

قال: لا يا رب.

قال: فإن لك ذلك ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه. وفي رواية أبي سعيد: لك مثل أعظم ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله معه<sup>(١)</sup>.

وفي رواية صحيحة: مثل ملك الدنيا وعشرة أمثال ملك الدنيا<sup>(٢)</sup>.

لا إله إلا الله! الدنيا كل الدنيا ذهب الدنيا فضة الدنيا قصور الدنيا وعشرة أمثالها معها... لكن لا مرض ولا خوف ولا كرب ولا هم ولا حزن.

هذا الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

(١) البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم في الإيمان (٢٩٩)/(١٨٢) بلفظ قريب.

(٢) مسلم في الإيمان (٣٠٨)/(١٨٦).

وفيه قضايا:

**أولها:** شرف الصحابة وإيمان الصحابة ويقين الصحابة الذين تركوا الدنيا وتركوا ملذات الدنيا وشهوات الدنيا، يتذكرون ذلك اليوم فيقولون: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

ما أعظم السؤال! وما أعظم الإيمان!

أما نحن فإننا في مهلة وفي غفلة وفي بُعد عن الله، فما أصبحنا نتذكر هذه القضايا.

هل سأل أحد منا: كيف نرى الله؟

هل تكلم بعضنا مع بعض في رؤيتنا لربنا وهي أفضل النعيم وأجل القربات؟

**ثانياً:** أن رؤية الله حق للمؤمنين في الآخرة، ولا يراه المشركون سبحانه كما قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُوجُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

موسى عليه السلام أعطاه الله نعمة التكليم فلما كلمه تبارك وتعالى وجد من الإيمان ومن السرور ومن الحبور ومن اللذة ما لا يعلمه إلا الله. فقال: يا رب أرني انظر إليك.

قال: إِنَّكَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنُظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا [الأعراف: ١٤٣].

رؤية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ثابتة يوم القيامة.

يقول الصحابة: كيف نرى الله؟

فيقول ﷺ: أترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟... ليس المرئي كالمرئي تبارك وتعالى، لكن الرؤية كالرؤية.

أترون الشمس في يوم صحو ليس دونها سحب؟  
قالوا: نعم.

قال: سترون ربكم كما ترون الشمس.  
فليس المرئي كالمرئي ولكن الرؤية كالرؤية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٤٣].

ثالثاً: وفي الحديث أيضاً أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار، خلافاً لمن ذهب لذلك من أهل البدع... فمن كان موحداً فإنه لا يخلد في النار.

رابعاً: وفي الحديث أن من المصلين من يدخل النار ومنهم من يصلي الصلوات الخمس ويدخل النار، كأن يكون عاقاً أو قاطع رحم أو آكل ربا أو زانياً أو فاجراً.

خامساً: أن الله حرّم على النار أن تأكل مواضع السجود.

سادساً: وفي الحديث فضل الله وكرم الله وأن الدنيا لا تساوي شيئاً... فإذا كان أقل ما يملكه أقل الناس في الجنة أعظم مما يملكه أعظم ملوك الدنيا ومثله عشر مرات، فكيف بمن هو في الدرجات العالية؟

فيا من أعدّ لذلك الموقف... إن كنت تريد أن ترى الله - وهو أعظم لذة عند أهل السنة والجماعة، وهو يوم الزيادة - فعليك أن تكون مستقيماً على أمر الله ليسكنك الله داراً لا يفنى شبابها ولا تبلى ثيابها... داراً غرس الله أشجارها بيده... داراً بنى الله قصورها بيده فقال الله: تكلمي.

فقلت: قد أفلح المؤمنون<sup>(١)</sup>.

فيا سعادكم أيها المصلون!

(١) رواه البزار بسند حسن.

وهنيئاً لكم أيها التائبون العابدون!

إذن... لقد دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى تحقيق هذه السعادة الأبدية، وكان دائماً يرغّبهم في هذا الفضل العميم من الله... ألا وهو الجنة.

وقف ﷺ قبل معركة بدر يحث الناس على القتال وعلى جنة عرضها السموات والأرض فقال لهم: «والله ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة».

فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلا أن يقتلنا هؤلاء؟

فقال: «إي والذي نفسي بيده».

فقدف تمرات كانت في يده يأكلها وقال: بخ... بخ... إنها حياة طويلة إن بقيت حتى أكل هذه التمرات.

ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل شهيداً رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

ويأتي أحد شباب الأنصار، يأتي قبل معركة أحد بعد أن علم أن الرسول ﷺ قد يقاتل الكفار في المدينة فيقول: يا رسول الله لا تحرمني دخول الجنة... اخرج بنا إلى أحد فوالله الذي لا إله إلا هو لأدخلن الجنة!

فتبسم ﷺ وقال: «بم تدخل الجنة؟».

قال: بخصلتين: أني أحب الله ورسوله ﷺ، ولا أفر يوم الزحف.

فقال ﷺ: «إن تصدق الله يصدقك».

(١) مسلم في الإمامة (١٤٥)/(١٩٠١) بلفظ مختلف.

فخرج ﷺ إلى أحد، وبعد المعركة كان هذا الشاب المؤمن في طليعة الشهداء.

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أغلى غاية الجود فقال ﷺ لما رآه: «صدق الله فصدقه الله»<sup>(١)</sup>.

هؤلاء هم محبُّو الجنة الذين قد دخل حبها قلوبهم وطاروا إليها زرافات ووحداناً لما سمعوا بنعيمها... فأين نحن منهم؟

يا أيها المسلمون لقد هبَّت نسائم الجنة فهل من مستنشق؟ وهل من مشمّر عن ساعدَي الجد والعزم؟ فإن المهر غالٍ.

وفقنا الله وإياكم لدخول الجنان... وجنّبتنا ولوج النيران. والله أعلم.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم.



## دار الخلد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا... من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيّه من خلقه وحيبيه.

أما بعد... فإن هذه الرسالة تتناول وصف الجنة من الكتاب والسنة، والجنة هي دار الصالحين، والجنة هي السلعة الغالية التي ذهبت المهج من أجلها، وهي الدار التي بناها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين.

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها الجار أحمد والرحمن بانيها قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها واعلم أن هذه الرسالة تتكون من عدة مسائل... هي:

### المسألة الأولى: الجنة حدائق وعيون

أما الجنة فهي حدائق وعيون، وأنا أحرص على أن تكون الدلائل من الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عنه ﷺ.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] قال أهل العلم: جنات جمع جنة وهي الحديقة، ويجوز أن تُطلق على

حدائق الدنيا، فتسمى حدائق الدنيا الجنة، والله المثل الأعلى، ورجنته مثل أعلى بالنسبة لخلق الدنيا. قال ابن عباس فيما صح عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، يعني هناك رُمان وهنا رمان، لكن لا سواء، هناك ريحان وهنا ريحان لكن لا سواء، هناك تمر وهنا تمر لكن لا سواء، فليس إلا الاسم، ولا يقال بقياس الشمول ولا العموم وإنما الأولى.

وأما العيون فقيل: عيون ثابتة صافية الماء راكدة، وقيل أنها أنهار تجري، وهي تسيح، ولها أصوات، وفيها من الخير ما الله به عليم، فإذا كان نهره ﷺ طوله كما بين صنعاء وبيت المقدس، طوله شهر وعرضه شهر أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وعدد آيته عدد نجوم السماء فكيف بالأنهار الكثيرة وأعظمها نهر المصطفى ﷺ؟

وقال سبحانه: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأنعام: ٦] ولأهل العلم معانٍ في هذه الآية فقال بعضهم: تجري من تحت الغرف، غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وقالوا: تجري من على وجه الأرض لكن لارتفاعهم على وجه الأرض تُصبح كأنها من تحتهم. والله أعلم.

وقد يكون المعنيان صحيحين كأن يقال: هناك أنهار من تحت القصور والغرف، وهناك أنهار تجري على وجه الأرض.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وهذا يؤيد المعنى الأول أنها من تحت الغرف ومن تحت القصور لكن بالإمكان الشرب منها والجلوس حولها وهي تسيح على وجه الجنة سيحاً.

### المائة الثانية: أنهار الجنة

ما هي هذه الأنهار؟ ذكرها الله عز وجل في سورة محمد ﷺ، قال سبحانه: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]. لكل مسلم

هناك أو مؤمن، لأنه لم يعد الله إلا المؤمنين بالجنة، وهذه قاعدة عند ابن تيمية. لأن المسلم قد يرتكب الكبائر وصاحب الكبائر لم يوعد بالجنة.

ومعتقد أهل السنة والجماعة أن صاحب الكبيرة يُخافُ عليه ولا يخلد في النار، وقد يُعذب وقد تدركه رحمة الله، وهو فاسقٌ بكبيرته ناقص الإيمان لا يخرج من الإسلام كما أخرجته الخوارج إلا أن يستحلَّ الكبيرة، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

﴿فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: ١٥] ما هو الماء غير الآسن؟ الآسن: المتغير، أي لا يتغير ماء الجنة مهما بقي في مكانه فهو عذب صافٍ طيب تشتهيهِ الأنفس.

وفيهما أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أي لا تدخله الحموضة، وعند بعض المفسرين: ولا يدخله عفن ولا رائحة منتنة بل هو عذب طيب سائب الشراب.

وأنهار من خمر لذة للشاربين لا صداع فيها، ولا ينزفون: أي لا تتعطل عقولهم ولا تذهب كخمر الدنيا، وهذا الفرق بين هذا الخمر وذاك. وخمر الدنيا من شربها ولم يتب منها كان على الله عهد أن يُسقيه من ردة الخبال، قالوا: وما ردة الخبال يا رسول الله؟ قال: عُصارة أهل النار. وقيل في المعنى: قبحهم وصديدهم ودماؤهم والعياذ بالله.

وأنهار من عسل مصفى: أي خالص غير مشوب بشيء مما يُفسد طعمه.

### المسألة الثالثة: تحية أهل الجنة

فتحية أهل الجنة السلام ﴿وَيَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]، ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ

كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ (٢٤) [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وعند البخاري عن أبي هريرة أن الله لما خلق آدم طوله ستون ذراعاً في السماء قال: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم. فذهب فسلم فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فزادوه وبركاته، فقال الله: هذه تحيتك وتحية ذريتك من المؤمنين<sup>(١)</sup> أو كما قال سبحانه وتعالى.

فالتحية في الجنة (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، ألا تتفكر أن يجمعك الله بذريتك وأطفالك، ألا تريد أن يجمعك الله بأطفالك وبناتك وأهلك في الجنة، ألا تريد أن تسلم عليهم ويسلموا عليك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا أعظم بقوم بايعوا المختاراً فأعاضنا ثمناً ألدَّ من المنى جنات عدن تُتَجِفُّ الأبراراً وطلب الجنة من مقاصد أهل السنة والجماعة، بخلاف الصوفية الذين قال غلاتهم: نحن والله لا نريد الجنة ولا نخاف من النار، وهذا بخلاف ما ورد في القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن الصحابة: ﴿ءَامِنِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنفِقُونَ فَضْلاً﴾ [المائدة: ٢]. وقال ﷺ عند ابن ماجه بسند حسن: «هل من مشمر إلى الجنة»<sup>(٢)</sup> الحديث.

فالجنة من المقاصد الأساسية لأهل السنة والجماعة.

(١) البخاري (٦٢٢٧) بلفظ قريب.

(٢) ابن ماجه (٤٣٣٢). بلفظ: «ألا مشمر للجنة» وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

دخل ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله على أحد السلاطين المماليك فقال له السلطان: يا ابن تيمية، يقول الناس أنك تريد ملكنا وملك آبائنا وأجدادنا، قال: ملكك؟ قال: نعم.

قال: والله ما ملكك وملك آبائك وأجدادك يساوي عندي فلساً، إني أريد جنة عرضها السموات والأرض. فمن أراد رضوان الله لا يتلّح إلى الدنيا أبداً.

قال سعد بن أبي وقاص: لما حضرنا أحد قام عبد الله بن جحش أحد الصحابة فقال قبل المعركة: يا رب! اللهم إنك تعلم أنني أحبك، فإذا حضرنا المعركة فلاق بيني وبين عدو لك، شديد حرده، قوي بأسه، فيقتلني فيك فيبقر بطني ويجدع أنفي ويفقأ عيني ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب يوم القيامة بهذه الصورة وقلت لي: يا عبد الله لم فعلت هذا، فأقول: فيك يا رب.

قال: فلما انتهت المعركة قال سعد: فوالذي نفسي بيده لقد رأيته قد قُتل وبُقر بطنه وجُدع أنفه وفُقت عيناه وقطعت أذناه<sup>(١)</sup>.

قال سبحانه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] ولو لم يكن بسلام: لكانوا خائفين. ولو لم يكونوا آمنين ما تهنّوا بالعيش، ولذلك العيش لا يسعد إلا بثلاثة: الإيمان، الأمن، الصحة.

فمن جمع الله له الإيمان والصحة في البدن والأمن في الأوطان فقد أعطاه الله غاية ما تمنى. فلذلك قال سبحانه: ﴿وَقَوْمٌ يُؤْتُونَ سَلَامًا﴾ [الذاريات: ٤٦]، ولذلك إنما سمي السلام سلاماً، لأنك تقول للمسلم سوف تسلم مني. وفي الحديث الصحيح

(١) سبق تخريجه ص ١٦٠.

الذي رواه البخاري: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(١)</sup>.

### المسألة الرابعة: سلامة صدور أهل الجنة

أما سلامة صدورهم، فهي من أعظم خصال أهل الجنة. ولا نعيم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بسلامة الصدور.

والقلب إذا اشتغل بالحقد والحسد والبغضاء والضغينة فلا عيش له ولا هدوء، ولذلك يقولون في الحسد: ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله، فالحسد والضغينة يقتلان صاحبهما قبل أن يصل ضررهما إلى غيره، ولذلك جعل الله من نعيم أهل الجنة إذا دخلوا الجنة أن ينزع الغل من قلوبهم والحسد من صدورهم، فيكونوا أحبباء حيث يدخلهم الجنة إخواناً كما ذكر ذلك في القرآن، فقد قال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] قال: ونزعنا ولم يقل نزع للاحتفاء بهم. وقال: ما في صدورهم من غلٍّ، ليذهب كل حقد وغيظ. وقال: إخواناً لأنه قد يُنزع ولا تكون بينهم معرفة فزادهم أن تعارفوا في الجنة. وقال: على سرر، وهذا من النعيم ولم يقل على بُسط أي رفعهم سبحانه. وقال: متقابلين، أي لم يعط بعضهم لبعض ظهره لأن من النعيم أن تقابل أصحابك في جلسة ندية.

قال أحد الشعراء العرب في نعيم المجالس:

ولما جلسنا مجلساً طله الندى      جميلاً وبستاناً من الروض ناديا  
أثار لنا طيب المكان وحسنه      منى فتمنينا فكنت الأمانيا

فأسعد الجلسات هي التي تتقابل فيها بالأصحاب. قيل لمعاوية وهو في السبعين وقيل في الثمانين: كيف رأيت الحياة؟ قال: لبست كل لباس فما وجدت كلباس التقوى، وشربت كل شراب فما وجدت

(١) البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم في الإيمان (٦٥)/(٤١).

أمرٌ من غَلَبَةِ الرجال، وأكلت كل أكل فما رأيت ألد من الصبر على المصائب، وعاشرت الإخوان والخلان فما رأيت كصاحب يخاف الله أجلس معه يقابلني وأقبله في مجلس ليس معنا إلا الله، أو كما قال.

وقال ابن المبارك في جلسة الأصحاب:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً      ذا عفاف وحياء وكرم  
قوله للشيء لا إن قلت لا      وإذا قلت نعم قال نعم  
قال سبحانه وتعالى في سلامة صدورهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ  
مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

ذكر أهل التاريخ: أن عليّ بن أبي طالب لما قُتل طلحة في معركة الجمل ترحّل إلى طلحة فكفّ التراب عن وجهه ومسح الغبار عن لحيته وقبله وبكى وقال: يعزّ عليّ يا أبا محمد أن أراك مجندلاً بالتراب، ولكن أسأل الله أن أكون وإياك ممن قال تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

وصحّ عنه ﷺ أنه جلس مع الصحابة في المسجد، فقال: «يدخل عليكم الآن من هذا الباب رجل من أهل الجنة»، فدخل رجل متوضئاً تتقاطر لحيته بآثار الوضوء، فصلّى ركعتين وجلس.

وفي اليوم الثاني قال ذلك ﷺ، وفي اليوم الثالث أيضاً، فذهب ابن عمرو وراء هذا الرجل وبات معه ليلتين وقيل ثلاثاً، فراه مقتصداً في صلاته، ليس هناك ما يلفت النظر، مقتصداً في صيامه وفي أذكاره.

فقال: يا فلان والله ما بي إلا أني سمعت الرسول ﷺ وهو يخبرنا ثلاث مرات أنك من أهل الجنة فماذا تفعل؟ فقد رأيت صلاتك ليست بكثيرة (يعني من النوافل) ولا صيامك، ولا ذكرك. قال: أما إن سألتني فوالله الذي لا إله إلا هو لا أنام ليلة من الليالي وفي قلبي غل أو غش أو ضغينة أو حقد أو حسد لأحد من المسلمين.

قال: فبذلك غلبتنا، أو كما قال<sup>(١)</sup>.

إذاً من أعظم النعم سلامة صدور المؤمنين، وهذه لا تكون إلا في الجنة، أما في الدنيا فتجد الأحقاد والحسد.

مررنا بقرية فيها بيتان متجاوران لأخوين شقيقين يقول لنا أحد الدعاة: والله إن صاحب هذا البيت لا يُسلم على صاحب هذا البيت من عشر سنوات بسبب قطعة أرض! فأين الإيمان؟

لقد وصف الله مُلك الجنة فقال: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] ووصف الله أهل الجنة فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

كان لمعاوية بن أبي سفيان، مزرعة في المدينة بجانب مزرعة عبد الله بن الزبير الحواري الجليل، فدخل عمال معاوية في مزرعة عبد الله بن الزبير فغضب ابن الزبير وبينه وبين معاوية إحن، فكتب لمعاوية: إلى معاوية بن هند آكلة الأكباد! أما بعد فإن عمالك قد دخلوا مزرعتي. فمُرهم بالخروج، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو ليكون لي ولك شأن.

فأتت الرسالة إلى معاوية وكان من أحلم الناس، فقرأ الرسالة فعرضها على ابنه يزيد وقال: ما رأيك في ابن الزبير كتب يتهددني؟! فقال: أرسل إليه جيشاً أوله في المدينة وآخره عندك يأتون برأسه.

قال: بل خير من ذلك زكاة وأقرب رحماً.

ثم أرسل إليه رسالة قال فيها: من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير بن أسماء ذات النطاقين، أما بعد فوالله الذي لا إله

(١) أحمد في المسند ٣: ١٦٦ بلفظ قريب.

إلاً هو، لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لسلمتها إليك. فإذا أتتك رسالتي فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمّالي إلى عمّالك.

فلما وصلته الرسالة بكى حتى بلّها بالدموع، ثم ذهب إلى معاوية في دمشق وسلم عليه وقبّل رأسه وقال: لا أعدّمك الله حِلماً أحلك في قریش هذا المحل.

### المائة الخامسة: مجالس أهل الجنة

أما مجالس أهل الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] وتقدم هذا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] قالوا: هذا اللين من الحرير وسوف يأتي تفصيل ذلك. وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وبعضهم يقول: بطائنهما من إستبرق: ما غلظ. وبعضهم يقول: ما رق.

والمقصود أن الله ذكر الحرير مرتين: الغليظ منه والرقيق. الرقيق أعلى الطنافس، والغليظ الذي من تحت. فلا إله إلا الله ما أحسنه من نعيم: لا هم، لا غم، لا حزن، لا فرقة، لا خوف نسأل الله من فضله.

وقال سبحانه: ﴿وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣٤] يعني مرفوعة عن التراب أو مرفوعة بمعنى كلما ارتفع الفراش كان أحسن وأحسن. حتى أنه في بعض الآثار أن الإنسان يغوص في فراشه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] والأرائك أقل من الفرش فإنها أصناف، وهي مجالس ومناير من نور، وكثبان من مسك، وفرش ممهدة، وفرش عالية، وبطائن، وأرائك يُغير الإنسان ما يحب في كل يوم جلسات متعددة.

فأين نعيم الدنيا وأين لذتها بجانب هذا النعيم؟

أحد السلاطين في الدنيا ملك قصوراً هائلة وهو معروف في التاريخ مشهور، فلما أسرف في الطعام والشراب أتاه المرض فأقعدته فأخذ يعوي ويبكي الليل والنهار حتى تمنى الموت.

الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ذكر الذهبي أنه لما حضرته الوفاة تبطح على التراب يبكي ويضرب وجهه ويقول: ﴿مَا أَغْفَلَ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩) [الحاقة: ٢٨ - ٢٩].

أين النعيم؟ النعيم في الإيمان، النعيم في طاعة الواحد الأحد، النعيم أن تتعرف على الله، أما القصور مع الفسق، والسيارات مع ترك الصلاة والإعراض عن الله، فهذا والله خسارة ولعنة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]. والأخضر لونه جميل، والعجيب أنني رأيت بحثاً لأحد الأطباء يقول فيه: الأخضر من أحسن ما يكون من الألوان، ولذلك وصف الله الجنة بالخضرة. ولباسهم في الأحاديث الصحيحة بالخضرة، والطيور التي تأوي إليها أرواح الشهداء بالخضرة. وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾ حتى ورد أمر في بعض المقاطعات في بريطانيا أن على الأطباء أن يرتدوا اللباس الأخضر عند إجراء العمليات ولا يلبسوا الأحمر. المهم... أن الله لم يذكره هنا إلا لسر الله أعلم به.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥] وهذه الآيات يصدق بعضها بعضاً، وهي من باب العطف، أو من باب البيان، أو من باب الترادف، أو من باب التعدد.

### المائة السادسة: لباس أهل الجنة

ما هو لباس أهل الجنة؟ أولاً أيها الأخ الكريم تذكر أننا يوم العرض الأكبر سوف نأتي غراًة، حتى الأنبياء عليهم السلام.

فمن أول من يُكسى؟ إبراهيم عليه السلام. فالناس يحشرون حفاة عراة غرلاً بُهماً كما ولدتهم أمهاتهم، حتى تقول عائشة يعني تتعجب: يا رسول الله عراة! ألا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «الأمير أعظم من ذلك يا عائشة»<sup>(١)</sup> ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ﴿وَأُمُوهُ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥) ﴿وَصَحْبِيهِ وَبَيْنِهِ﴾ (٣٦) ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧) [عبس: ٣٤ - ٣٧].

هل يفكر الإنسان أو ينظر؟ لا والله فالأمر أدهى وأعظم وأكبر من أن يتفكر الإنسان أو يفكر في مثل هذه الأمور.

فيُكسى إبراهيم وليس بأفضلهم بل أفضلهم محمد ﷺ، ثم يكسوهم سبحانه وتعالى في الجنة.

أما أهل النار فيقول سبحانه وتعالى في نوعية لباسهم: ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩) ﴿يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (٢٠) [الحج: ١٩، ٢٠]، وفي بعض الروايات يلبسون القطران ويلبسون الحديد المصفح الحامي.

أما أهل الجنة فاسمع إلى لباسهم. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٥٣) [الدخان: ٥٣] قالوا: السندس ما غلظ من الديباج أو الحرير. وصحَّ عند مسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ أهدي جلباباً من سندس فأخذ الصحابة يمسحون وينظرون فيقول ﷺ: «أتعجبون من ذلك! والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»<sup>(٢)</sup>.

سعد بن معاذ شهيدٌ قُتل في الخندق بسهم ومات بعدها بسنة. واهتز عرش الله - كما صحَّ بذلك الحديث - لموته، وشيعه سبعون ألف ملك.

(١) البخاري (٦٥٢٧) بلفظ قريب.

(٢) البخاري (٣٨٠٢) بلفظ قريب. ومسلم في فضائل الصحابة (١٢٦)/(٢٤٦٨).

قال حسان بن ثابت:

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمر  
فمناديل سعد بن معاذ التي هي للعرق أحسن من هذه الجُبب  
التي من الحرير في الدنيا. فكيف بغيرها؟

وقال سبحانه وتعالى في لباسهم: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ  
وَحُلُوفٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

قال ﷺ في صحيح مسلم: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا  
تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»<sup>(١)</sup>.

وصحَّ في أحاديث أخرى أن ثياب أهل الجنة تخرج من ثمرات  
الأشجار، أي أن كُم الشجرة وغُصن الشجرة يُثمر فيأتي بأكمام فتفتق  
بثياب مفصلة عليهم بكل لون أرادوه، فينزعون الثياب ويلبسونها<sup>(٢)</sup>.  
وهذا نعيم ما يتصوره الإنسان، وثياب ستر كساهم بها الله عزَّ وجل،  
والذي لا يكتسي بلباس التقوى فوالله لو لبس ثياب الدنيا ما  
ستره الله.

### المسألة السابعة: ريح الجنة

إن للجنة ريحاً الله أعلم بها، قال ﷺ وهذا عند البخاري في  
الصحيح: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من  
مسيرة أربعين عاماً»<sup>(٣)</sup>. يعني من عاهد معاهداً كافراً أو غيره من أهل

(١) مسلم في الجنة (٢١)/(٢٨٣٦).

(٢) أحمد في المسند ٢: ٢٠٣ حديث جاء فيه: أن رجلاً قال: يا رسول الله أرايت ثياب  
أهل الجنة أتنسج نسيجاً أم تشقق من ثمر الجنة...، قال: «لا، بل تشقق من ثمر  
الجنة».

(٣) البخاري (٣١٦٦).

الكتاب فقد أعطاه ذمة الله وعهد الله ثم قتله فحرام عليه أن يروح رائحة الجنة، ورائحة الجنة توجد من مسافة أربعين عاماً.

قال ابن القيم: ورد في النصوص ألفاظ منها أربعين عاماً وخمسمائة عام وغيرها من الأعوام، فإما أن يكون ذلك على قدر العمل أي أن من أتى بعمل عظيم شنيع بعّده الله أبعد من أربعين عاماً، ومن أتى بعمل أخف فأربعين عاماً.

وقيل: بل على طرف الجنة وعلى وسطها، فمن طرفها يمكن أن يكون أربعين ومن وسطها خمسمائة أو مائة عام، أو ما أتى في الحديث وهذا جمع جيد. فلا شُلت يدُ ابن القيم وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

وكان أنس بن النضر يستنشق يوم أحد، قالوا: ما لك؟ قال: أجد ريح الجنة من دون أحد، وقتل وضرب ثمانين ضربة حتى ما عرفته أخته إلا ببنانه، لكن ما أحسن هذا الضرب وما أحسن هذا القتل طالما أنه في سبيل الله، والذي لا يموت صادقاً مع الله يموت كما تموت الدواب والبهائم.

وصحَّ أن عبد الله بن عمرو الأنصاري سأل الله رضوانه ولبس أكفانه قبل المعركة واغتسل وتحنَّط وتطيَّب. ثم أتى المعركة فأخذ غمد السيف وكسره على ركبته فقتل، فأتى ابنه جابر يبكي، فقال ﷺ: «أباك أو لا تبك، والذي نفسي بيده ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده لقد كلم الله أباك كفاحاً بلا تُرجمان، فقال له: تمَنِّ. قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية. قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون. فتمَنِّ. قال: أتمنى أن ترضى عني فإنني قد رضيت عنك. قال: فإنني قد أحللت عليك رضواني لا أسخط عليك أبداً، فجعل الله روحه وأرواح

إخوانه في حواصل طير ترد الجنة فتأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش حتى يرث الله الأرض ومن عليها»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(١٦٩)</sup> فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

### المائة الثامنة: أبواب الجنة

قال ﷺ في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم عن عبادة ابن الصامت: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل - وفي اللفظ الآخر: من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»<sup>(٢)</sup>.

وعند البخاري في كتاب الجهاد قوله ﷺ: «إن للجنة أبواباً ثمانية فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر: هل يدعى أحد يا رسول الله من تلك الأبواب الثمانية؟ فتبسم ﷺ وقال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»<sup>(٣)</sup>.

إن أبا بكر لم يسأل إلا وفي قلبه شيء، وما خاب ظنه، فقد بشره الرسول ﷺ، لأن أبا بكر كانت لديه همة وعزيمة لا يعلمها إلا

(١) سبق تخريجه ص ١٢١.

(٢) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم في الإيمان (٤٦)/(٢٨).

(٣) سبق تخريجه ص ١٤٧.

الله جلّ جلاله، رغم أن جسم أبي بكر كان ضعيفاً نحيفاً. لكنه كما قال عنه ابن القيم:

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويداً وتجيء في الأول يقول: دائماً أنت تأتي في الأول، أنت أول الذاكرين وأول المجاهدين وأول الصادقين وأول الدعاة، أعطيت للإسلام دمك ودموعك وعرقك ومالك ووقتك. فلماذا لا تأتي يا أبا بكر في الأول وتدخل الجنة من أي الأبواب الثمانية شئت؟

أما اتساع أبواب الجنة فقد صحّ عنه ﷺ عند مسلم من حديث عتبة بن غزوان أنه قال: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة».

لا إله إلا الله، يعني ما بين طرف الباب والباب مسافة أربعين سنة. ثم يتسم عتبة بن غزوان فيقول: قال ﷺ: «وإنه ليأتي عليه يوم له كظيظ من الزحام»<sup>(١)</sup>.

فنسأل الله أن نكون ممن يُزاحم على تلك الأبواب: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتحت له أبواب الجنة الثمانية»<sup>(٢)</sup>.

قال عقبة بن عامر: روّحتُ إبلي فتأخرت فيها وأتيت الرسول ﷺ

(١) البخاري (٤٧١٢) دون لفظ «مسيرة...»، ومسلم في الإيمان (٣٢٧، ٣٢٨)/(١٩٤)، والزهد (١٤)/(٢٩٦٧).

(٢) مسلم في الطهارة (١٧)/(٢٣٤) بلفظ قريب.

وهو يحدث الناس وقد مضى في الحديث قال: فسمعتة يقول: «من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه»، فقلت وعمر بجاني: ما أحسن هذا. قال عمر والتفت إليّ: التي قبلها أحسن منها. قال: فلما انتهى ﷺ من الحديث التفت إليّ عمر ثم قال: أما كنت معنا من بداية اليوم؟ قلت: لا، أدركتكم في آخر الكلام.

قال: فإن الرسول ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتحت له أبواب الجنة الثمانية»<sup>(١)</sup>. زاد الترمذي بسند حسن: «ويقول: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»<sup>(٢)</sup>.

### المائة التاسعة: أول من يدخل الجنة

أول من يدخل الجنة محمد بن عبد الله ﷺ، أبو القاسم، فدرجته في الجنة الوسيلة.

ولذلك اختلف أهل العلم: ما هي الوسيلة؟

قال ﷺ: «درجة في الجنة لا تنبغي لأحد إلا لعبد وأرجو أن أكون أنا هو»<sup>(٣)</sup>. وهو ﷺ يعني أعلى منزلة في الجنة. وهو مقعد واحد لا يأخذ اثنين ليس إلا للرسول ﷺ.

تُخلق أبواب الجنة والناس في الحشر في عَرَصات القيامة فيأتي ﷺ فيطرق باب الجنة. فيقول خازن الجنة رضوان: مَنْ؟ فيقول: أنا محمد بن عبد الله، رسول الله. قال: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك، فيفتح الباب.

(١) سبق تخريجه ص ١٨٨.

(٢) الترمذي (٥٥).

(٣) مسلم في الصلاة (١١)/(٣٨٤). بلفظ قريب.

قال ﷺ والحديث عند مسلم في الصحيح: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»<sup>(١)</sup>، وعند مسلم في الصحيح: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتحه فيقال لي: مَنْ؟ فأقول: محمد، فيقال: بك أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وعند ابن ماجه: إن أول من يدخل من الأمة الجنة أبو بكر. فهو أول من يدخل من أمة محمد ﷺ. لكن في الحديث كلاماً لأهل العلم ذكره ابن القيم وتكلم في الحديث<sup>(٣)</sup>.

وأما من الأصناف فإن الفقراء يدخلون قبل الأغنياء بخمسمائة عام.

### المائة العاشرة: صفة دخول أهل الجنة

أيدخلون طوابيراً؟ أم يدخلون صفوفاً؟ أم يُدعون واحداً واحداً أم ماذا؟

في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد في البخاري ومسلم قال ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف». هذه الرواية في الصحيحين: «سبعون ألف أو سبعمائة ألف متماسكون أخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخريهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»<sup>(٤)</sup>.

إذاً فالدخول جماعي في صفوف وفي زحف مقدّس: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(١) مسلم في الإيمان (٣٣١)/(١٩٦).

(٢) مسلم في الإيمان (٣٣٣)/(١٩٧). بلفظ قريب.

(٣) ضعفه الألباني في المشكاة (٦٠٢٤).

(٤) البخاري (٣٢٤٧، ٦٥٤٣، ٦٥٥٤)، ومسلم في الإيمان (٣٧٣)/(٢١٩).

يدخلون على منازل أولهم على صورة القمر ليلة أربعة عشر، ثم على صورة الكواكب الدرية، ثم بعدها في البياض، وهكذا تدريجياً.

### المسألة الحادية عشر: أدنى أهل الجنة منزلة

قال موسى عليه السلام: يا رب من أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: يا موسى أدنى أهل الجنة منزلة رجل يدخل الجنة بعدما يدخل الناس ويأخذون مقاعدهم، فيسأل الله أن يعطيه، فيقول له الله: أما ترضى أن يكون لك مثل مُلكٍ ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: يا رب أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟

قال: لا أستهزئ بك. فيقول الله: إن لك ذلك ومثله ومثله. قال: رضيت يا رب. قال الله: فإن ذلك لك وعشرة أمثاله.

وهذا أدناهم فكيف بأعلاهم؟ ولذلك في الحديث: «أما أعلاهم فذلك الذي غرست كرامتهم بيدي». ولهم نعيم ما خطر على قلب بشر، أو كما قال ﷺ عن رب العزة<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثانية عشر: درجات أهل الجنة

يقول ﷺ في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق ومن المغرب لتفاضل ما بينهم»<sup>(٢)</sup>.

والجنة منازل ودرجات. كما ذكر أبو سعيد في حديثه عند البخاري أن الجنة مائة درجة، وما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض أعدت للمجاهدين في سبيل الله.

(١) مسلم في الإيمان (٣١٢)/(١٨٩). بلفظ قريب وينظر (١٣١٠)/(١٨٧).

(٢) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنة (١١)/(٢٨٣١).

ولذلك فأهل الجنة ثلاثة: سابق بالخيرات، ومقتصد، وظالم لنفسه يرحمه الله لحديث: «أخرجوا من النار مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»<sup>(١)</sup>، فيبقى في رِيض الجنة.

لكن هل ترضى همّتك أن تكون في رِيض الجنة؟ أتعُد من يصلي الخمس فقط بمثل من يصلي الخمس ويقوم الليل ويتنفل ويتدبر القرآن ويجاهد نفسه على طاعة الله ويبذل ماله ويصدق مع الله؟ ليسوا سواء، فتلك درجات عند الله، والله بصير بما يعملون.

### المائة الثالثة عشر: خيام أهل الجنة

في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي موسى قال ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً، (وفي آخر الحديث:) له في كل ناحية أهلون وأبناء لا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الخيام غير القصور وغير الغرف وغير المنازل التي لا يعلم سرها ولكنها إلا الواحد الأحد، فنسأل الله العليّ القدير أن يجعلنا من أهل هذه الخيام.

### المائة الرابعة عشر: شجر الجنة

قال ﷺ والحديث في البخاري: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ صحيح: «الراكب المُجَدّ على فرس يسعى بالفرس مائة

(١) البخاري (٢٢) بلفظ قريب. ومسلم في الإيمان (٣٠٤)/(١٨٤).

(٢) البخاري (٤٨٧٩) بلفظ قريب، ومسلم في الجنة (٢٣)/(٢٨٣٨).

(٣) البخاري (٣٢٥١)، ومسلم في الجنة (٨)/(٢٨٢٧).

عام لا يقطع ظلها»<sup>(١)</sup>، فلا إله إلا الله إنه لعيش ما أرغده! وما أحسنه! نسأل الله أن يجلسنا تلك المجالس.

### المسألة الخامسة عشر: طعام أهل الجنة

ذكر ﷺ في حديث رواه مسلم أن: «أهل الجنة لا يقولون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يهتمُّون ولا يحزنون». قال الصحابة: يا رسول الله: فما بال الطعام؟ أين يذهب الطعام؟ قال ﷺ: «جُشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتمجيد، كما يُلهمون النَّفس»<sup>(٢)</sup>. ما أحسن الكلام! رشح كالمسك، هذا الطعام وبقايا الفضلات يخرج كالمسك، فإذا هو أذفر وأحسن وأشدى وأذكى من المسك.

### المسألة السادسة عشر: نساء أهل الجنة

صحَّ عنه ﷺ أن لكل مؤمن في الجنة زوجتين جميلتين حَسَنَتَيْن يُرى مخ ساقهما من وراء الساق من حسنهما وصفائهما<sup>(٣)</sup>.

وله من الجواري اثنتان وسبعون جارية. في نعيم آخر الله أعلم به<sup>(٤)</sup>.

والمسلمة في الدنيا تتزوج بزوجها في الجنة، هذا من أقوال أهل السنة، ومن لم ترَضَ زوجها أو لم يرضها لمخالفته للدين أو الخلق أبدلها الله بزواج خير منه في الجنة، وأبدله زوجةً خيراً منها في الجنة. ومن كان له عدة زوجات إذا رضيته تزوجه جميعاً. وهذا من النعيم

(١) البخاري (٣٢٥١)، ومسلم في الجنة (٨)/(٢٨٢٨) بلفظ: «... يسير الراكب الجواد المضمَّر، ...».

(٢) مسلم (١٨، ١٩)/(٢٨٣٥).

(٣) يُنظر الترمذي (٢٥٢٢)، ومسلم (١٧)/(٢٨٣٤).

(٤) راجع حادي الأرواح (١٦٦ فما بعدها)، فقد أطلال في ذكر أحاديث تصف نساء الجنة.

الخالد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١) [الطور: ٢١].

### المائة السابعة عشر: سوق الجنة

أما سوق الجنة... فعند مسلم عن أنس: «إن في الجنة سوقاً يدخله المؤمنون فتهب عليهم ريح الشمال فتنثر في وجوههم المسك فيزدادون حسناً وجمالاً إلى جمالهم وحسنهم فيقولون لبعضهم البعض: ازددتم حسناً وجمالاً إلى حسنكم وجمالكم»<sup>(١)</sup>.

### المائة الثامنة عشر: نظر أهل الجنة إلى ربهم

ومن أعظم الكرامات نظر أهل الجنة إلى ربهم، وهي من عقيدة أهل السنة. قال سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥) [المطففين: ١٥] قال الشافعي رحمه الله: لما حجب أهل المعصية، دل على أن أهل الطاعة يرونه.

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أنه قال: (قال الصحابة: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم سترون ربكم يوم القيامة»، وفي حديث جرير: «كما ترون القمر ليلة أربعة عشر أو ليلة البدر»<sup>(٢)</sup>.

نسأل الله أن يرينا وجهه.

وهي الزيادة الواردة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

(١) مسلم في الجنة (١٣)/(٢٨٣٣).

(٢) سبق تخريجه ١٦٧.

[يونس: ٢٦]. قال ابن تيمية: إذا ذكر الله الزيادة في القرآن فهي النظر إلى وجهه الكريم.

وفي حديث صهيب عند مسلم: «إن الله يقول لأهل الجنة أتريدون نعيماً؟ قالوا: يا رب ماذا نريد؟ وقد بيّضت وجوهنا وأرضيتنا. قال: فإن لكم عندي موعداً لا تخلفونه. قال: فيكشف الحجاب عن وجهه فينظرون إليه فما يرون لذة أعظم من ذلك. وهذا يوم المزيد، وهو يوم الجمعة»<sup>(١)</sup>، نسأل الله من فضله العظيم.

### المسألة التاسعة عشر: مناديل أهل الجنة

مر معنا قوله ﷺ في جبة الحرير: «للمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا»<sup>(٢)</sup>.

### المسألة العشرون: آخر أهل الجنة دخولا الجنة

في الصحيحين أن رجلاً يمكث في النار فيخرجه الله فيقول: يا رب أخرجني من النار، ضرّ بي ريحها وأحرقني ذكاؤها أخرجني يا رب. فيقول الله: أتسأل شيئاً يا ابن آدم بعدها؟ قال: لا والله يا رب. فيعطي ربه الموائيق فيخرجه ينظر إلى أبواب الجنة. قال: يا رب قرّني من أبواب الجنة، قال: أتسأل غيرها؟ فيقول: لا والله يا رب، يعطي ربه الموائيق فيقرّبه فينظر إلى نعيم الجنة. قال: يا رب أدخلني الجنة. فيبتسم ﷺ فيقول الله: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أما أعطيتني العهود والموائيق؟!

فيُدخله الله الجنة فيقول الله له: تمنّ، فلا يزال يتمنى، والله يذكره حتى تنقطع به الأماني، فيعطيه الله عزّ وجل خمسة أمثال ما

(١) مسلم في الإيمان (٢٩٧)/(١٨١).

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٤.

تمنى، وفي حديث أبي هريرة: عشرة أمثال ما يتمنى<sup>(١)</sup>.

### الجنة موجودة ولا تنفى

من معتقد أهل السنة والجماعة أن الجنة موجودة الآن، وأن الشهداء في عهد الرسول ﷺ دخلوا الجنة وأنهم نُعموا، وأن الإنسان قد يرى الجنة إذا مات أو تُفتح له نافذة إلى الجنة.

ومن معتقد أهل السنة وهو صحيح عدم فناء الجنة. وأهل الجنة خالدون مخلّدون لا فناء لهم. قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: النار والجنة حق وهما موجودتان لا فناء لهما.

أما بعض الفلاسفة فقالوا: تنفى الجنة والنار.

وقال أبو الهذيل العلاف المعتزلي: يُفني الله حركات أهل الجنة وأهل النار. وهذه أقوال باطلة، بل الجنة حق والنار حق، وهما موجودتان الآن لا فناء لهما بل خلود أبدي سرمدي.

هذا ما حضرني في هذا المبحث، وما وفقني الله أن أقدمه لإخواني وأخواتي عن الجنة ونعيمها من الكتاب والسنة، مبتهلاً إلى الله أن ينفع به وأن يهدي به، وأن يجعله لنا لا علينا إنه هو القادر على ذلك والمجيب للدعاء.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد.



## دار القرار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ  
عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَيِّبِ الْفَيْضِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤  
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ  
وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥  
أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

كان ﷺ يتحدث عن الجنة كثيراً... وكان يتكلم عن الجنة  
طويلاً، ومقصده رضاء الله.

طلب منه بعض الناس ملكاً في الدنيا. فقال: «الجنة».

قال له الناس: ماذا تريد منا؟

قال: «أن تبيعوا نفوسكم إلى الله».

قالوا: فما لنا؟

قال: «الجنة».

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل.

لم يعدهم ﷺ قصور الدنيا ولا ذهبها ولا بفضتها ولا بمناصبها... بل الجنة فحسب.

صهرتهم الشمس رضوان الله عليهم... جاعوا... ظمئوا... تقطعت أجسامهم من الجراح... مسهم القرع... تألموا... شتوا... شردوا... حُبسوا.

فلا يريدون إلا الله ثم الجنة.

دخل عبد الله بن حذافة وهو مسجون مأسور على ملك فارس، فقال له ملك فارس: يا عبد الله بن حذافة أتعود عن دين محمد وأعطيك نصف ملكي؟

قال: والله الذي لا إله إلا هو لا أعود طرفة عين عن دين محمد ﷺ ولو أعطيتني ملكك وملك آبائك وأجدادك!

علم الرسول ﷺ أصحابه أن الدنيا قصيرة... ستين سنة... سبعين سنة... مهما جاع العبد... مهما ظمئ... مهما نام على الخشن... مهما وجد من المشقة... لكنه يعمل لجنة عرضها السموات والأرض.

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها الجار أحمد والرحمن بانيها قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها يقول ﷺ وهو مع الصحابة في مجلس عامر: «دخلت الجنة البارحة فسمعت صوت حذاء بلال».

فيقول ﷺ لبلال: «ماذا كنت تصنع يا بلال حتى دخلت الجنة؟»

قال: يا رسول الله أنا لست بكثير صيام ولا صلاة ولا صدقة

لكنني ما توضأت وضوءاً إلا صليت بعده ركعتين<sup>(١)</sup>.

ينادي ﷺ من على منبره الصحابة فيقول: «هل من مشمّر للجنة، إن الجنة والذي نفسي بيده لقصر منيف، ونور يتلأأ، ونهر يضطرب... فهل من مشمّر للجنة؟»

قال الصحابة: نحن يا رسول الله.

قال: «قولوا إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>.

● خرج الصحابة لمعركة أحد بطونهم جوعى... أكبادهم ظمأى... بيوتهم من الطين... كسروا غمود سيوفهم على ركبهم يريدون الجنة، فلما التقوا مع الكفار فرّ بعض الناس وثبت أنس بن النضر يقاتل، وقال سعد بن معاذ: أين تذهب يا أنس؟

قال: إليك عني يا سعد والله الذي لا إله إلا هو إني لأجد ريح الجنة من دون أحد<sup>(٣)</sup>.

● وقفوا رضوان الله عليهم في بدر فخرج ﷺ في درعيه وقال: «يا أهل بدر والذي نفسي بيده لقد جمّل الله الجنة لكم وما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة».

فيقول عمير بن الحمام: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلا أن يقتلنا هؤلاء فتدخل الجنة؟!

قال: «إي والذي نفسي بيده».

(١) البخاري (١١٤٩).

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧.

(٣) البخاري (٢٨٠٥) بلفظ مختلف.

كان هذا الصحابي يأكل تمرات فألقاها من يده وكسر غمد سيفه على ركبته وقاتل حتى قتل ودخل الجنة<sup>(١)</sup>.

● الرسول ﷺ ينادي بالجهاد فيخرج حنظلة الغسيل في ليلة العرس ولم يغتسل من الجنابة فيأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فالتفت ﷺ إلى السماء فأشاح بوجهه وقال: «سلوا أهل حنظلة ما باله؟»

فسألوهم.

فقالوا: خرج جنبا، فأخبرهم ﷺ أن الملائكة غسلته، فهنيئا له<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

إن أخشى ما نخشاه أن نركن إلى الدنيا وأن نرضى بقصور الدنيا وبفيلل الدنيا ونترك جنة عرضها السموات والأرض. يصف ﷺ شجرة من أشجارها فيقول: «يسير الراكب في ظلها على فرسه المجدد مائة عام لا يقطعها»<sup>(٣)</sup> ومع ذلك لا مرض ولا هم ولا غم ولا حزن، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخّطون ولا يحزنون... قلوبهم على قلب رجل واحد خلا من الحسد والحقد والضغينة.

يقول ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت قصراً أبيض فقلت: لمن هذا القصر؟»

(١) سبق تخريجه ص ١٤٨.

(٢) سبق تخريجه ص ١٦٢.

(٣) سبق تخريجه ص ١٩٢.

قالوا: لعمر بن الخطاب.

فأردت أن أدخل القصر فتذكرت غيرتك يا عمر<sup>(١)</sup>.

فبكى عمر وقال: أمنك أغار يا رسول الله؟! كأن لسان حاله يقول: أنت سبب هدايتي للإسلام ودللتني على الله وأدخلتني الجنة بإذن الله ثم أغار منك يا رسول الله?!.

● يقول ﷺ: «من يقتل خالد بن سفيان أحد المجرمين وأضمن له الجنة؟».

فيقول عبد الله بن أنيس شاب في الثلاثين من عمره: أضمن لي الجنة يا رسول الله؟

قال: «أضمن لك الجنة»، فقتله وأتى برأسه وقال: يا رسول الله أعطني علامة تكون علامة أنني من أهل الجنة.

فأخرج له عصاً من خشب وقال: «خذ هذه العصا علامة بيني وبينك يوم نلقى الله في يوم العرض الأكبر تتوكأ بها في الجنة - أي تعتمد عليها - والمتوكلون بالعصي في الجنة قليل»<sup>(٢)</sup>.

فأخذ العصا وهو مصدق... أخذها وهو يعلم أنه سوف يتوكأ عليها في الجنة... فكان ينام بها ويصحو بها ودفنت معه في قبره وسوف يلقى بها رسول الله ﷺ يوم القيامة ويتوكأ بها في الجنة.

● قام شاب في العشرين من عمره من الأنصار قبل معركة أحد فقال: يا رسول الله ألا تتركني أجاهد معك؟

«أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه...

(١) البخاري (٧٠٢٣، ٧٠٢٤، ٧٠٢٥) بلفظ قريب.

(٢) أحمد في المسند ٣: ٤٩٦، بلفظ فيه بعض اختلاف.

وذكر القصة أبو داود (١٢٤٩) بصيغة مختلفة وسكت عنها.

فلما كانت غزوة غَنِمَ النبي ﷺ سبياً فقسَمَ وقَسَمَ له . . . قال ما على هذا اتبعْتُك . . .

فقال: «إن تصدقِ الله يصدُقْكَ» .

فأعطاه الله ما تمنى فقتل في المعركة فكان من الشهداء<sup>(١)</sup> .

والعجيب أن هناك قوماً أعمى الله بصائرهم . . . فقالوا: نحن لا نطلب الجنة ولا نعمل للجنة ولا نريد الجنة . . . نحن نعمل فقط لرضوان الله وسواء ألقوا في الجنة أو في النار! وهذه مقولة غلاة الصوفية ونُقلت عن رابعة العدوية أنها قالت: لا أعمل طلباً لجنته ولا خوفاً من ناره وإنما أعمل لوجهه .

وهذا خطأ يخالف القرآن والسنة، والله عز وجل يقول: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] والآخرة تشمل ما عند الله . . . رضا الله . . . وجنة الله . . . وعفو الله . . . والنظر في وجه الله تبارك وتعالى .

أسأل الله لي ولكم دخول الجنة والفوز بمرضاة الله وأن يُباعدنا عن دخول النار إنه ولي ذلك والقادر عليه .  
وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم .



## أخبار النار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
أما بعد .

عنوان هذا الدرس (أخبار النار) نعوذ بالله وإياكم من النار، وجنبتنا كل عمل أو فعل أو قول يدل على النار .

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً قد شبت في الرق فاعتقني من النار

يقول الله سبحانه وتعالى عن أحد المجرمين : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ ٣١ ﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿ ٣٢ ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزِيدُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿ ٣٣ ﴾ وَلَا يَخُصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿ ٣٤ ﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿ ٣٥ ﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿ ٣٦ ﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخِطِيطُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ [الحاقة : ٣٠ - ٣٧] .

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ (٣٠) الغل جمع الديدن وراء الظهر والكتف .

﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ (٣١) أي أصلوه نار جهنم التي تتلظى لا يراها راءٍ أو يدخلها داخل إلا سقطت فروة وجهه في النار .

﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٣٢) ، يُسَلَكُ فِيهَا سَلَكًا حَتَّى تَخْرُجَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ فَمِهِ وَدُبْرِهِ .

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦] يقولون: ثقلب يمنية ويسرة.  
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] والخلود هنا لغير الموحددين، أما عصاة الموحدين فلا يخلدون في النار بل قد يدخلون النار فمنهم من يمكث ألف سنة، ومنهم من يمكث مائة سنة، ومنهم من يمكث سنة، نعوذ بالله من النار.

وعقيدة أهل السنة أنهم لا يقولون بتخليد أهل الكبائر في النار بل ربما دخلوها وأخرجوا منها.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) لِلطَّغْيَةِ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ [النبا: ٢١ - ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك: ٦ - ١١].

أيها المسلمون اسمعوا لأخبار الصالحين وهم يتعوذون من النار، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]. فقد وصف

الله الصالحين بأنهم يتعوذون من النار وأنهم يسألون الله أن يصرف عنهم عذاب النار.

ذكر أهل العلم بأسانيد جيدة أن عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - زوجة الرسول ﷺ كانت تردد قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ وَعَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) [الطور: ٢٧، ٢٨] وتبكي.

قال أحد الرواة: سمعت عائشة ترددها في صلاة الضحى وتبكي فذهبت إلى السوق وعدت فاتيت وهي تبكي وترددها.

وأما ابن عمر فذكر عنه وكيع صاحب كتاب الزهد أنه قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (٥٤) [سبا: ٥٤]، فبكى حتى أغمى عليه ورش بالماء.

وابن وهب ذكر عنه الذهبي أنه سمع ابنه يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] فأغمى عليه حتى حمل على أكتاف الرجال.

أما ابن تيمية فيذكر عن علي بن الفضيل بن عياض أحد الصالحين الزهاد الكبار قال: صلى أبوه فقراً سورة الصفات وكان ابنه علي من أخشى الناس لله وكان وراءه في الصف فقراً الفضيل: ﴿وَقَفُوهُمْ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ (٢٦) [الصفات: ٢٤ - ٢٦] فأغمى على ابنه فحملوه إلى البيت فحركوه فإذا هو قد مات... ذكرها ابن كثير وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي قصة صحيحة.

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي كانوا من أخشى الناس لله - سبحانه وتعالى - وكانوا إذا ذكر أحدهم النار زفر زفرة، ولاغ لوعة، وذكر ذكراً، وكان لذكرهم فائدة في عملهم وحزنهم لله.

فأوصي نفسي وإياكم بالاستعاذة من النار، فعند مسلم عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «قل أعوذ بالله من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا، وفتنة الممات، وفتنة المسيح الدجال»<sup>(١)</sup>. ومن يستعيذ من النار سبع مرات قالت النار: يا رب أجره مني.

وفي حديث الحارث بن مسلم لما أتى إلى الرسول ﷺ قال: «ألا أدلك على عمل؟»

قال: بلى.

قال: «إذا صليت الصبح فقل: اللهم أجرني من النار، سبع مرات، وإذا صليت المغرب فقل: اللهم أجرني من النار، سبع مرات»<sup>(٢)</sup>، وهو حديث صحيح نص على صحته ابن القيم.

إذا أوصي نفسي وإياكم بعد الفجر وبعد المغرب بذكر (رب أجرني من النار) سبع مرات.

وعند مسلم عن أم حبيبة وهي زوجة المصطفى ﷺ وهي بنت أبي سفيان قالت: اللهم متعني بأبي أبي سفيان وبأخي معاوية.

فقال لها ﷺ: «لقد سألت الله لآجال معدودة ولأرزاق مقسومة ولأيام مضروبة، ولو سألت الله لأخيك أو لأبيك أن يعيذهما الله من عذاب القبر وعذاب النار كان أفضل»<sup>(٣)</sup>.

وهذا كما يقول أحدنا للآخر: طوّل الله عمرك... وعمره لا يطول وإنما الأفضل أن يقول: وقاك الله عذاب النار... بيّض الله وجهك... غفر الله لك... زحزحك الله عن النار.

(١) البخاري (١٣٧٧) بلفظ قريب. ومسلم في المساجد (١٢٨)/(٥٨٨).

(٢) أحمد في المسند ٤: ٢٣٤.

(٣) مسلم في القدر (٣٢، ٣٣)/(٢٦٦٣) بلفظ قريب وفيه: «أن يعيذك...».

وصحَّ عند أبي يعلى من قوله ﷺ أنه قال: «ما استجار عبدٌ من النار في يوم سبع مرات فقال: اللهم أجرنِي من النار، إلَّا قالت النار: يا رب أجره مني»<sup>(١)</sup>.

فلاستعاذة منها سنة واردة.

وأوصيكم بهذا بعد التشهد وفي أدبار الصلاة وفي السجود وفي آخر الليل وفي كل مناسبة أن نستعيد ونستجير بالله من النار.

فمهما وصف الواصفون فوالله لا يأتون على وصف النار.

كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر النار أغمى عليه على المنبر.

وكان عمر رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه كما قالت عاتكة زوجته يتململ في فراشه حتى يقوم... حذراً من النار.

قال عدي بن حاتم الطائي - والحديث متفق عليه -: قال لنا ﷺ: «استعينوا بالله من النار»، ثم قال: «اتقوا النار»، ثم أشاح بوجهه ﷺ ثم قال: «اتقوا النار»، ثم أعرض بوجهه وأشاح ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد فبكلمة طيبة»<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون شق التمرة كالصدقة بالريال، فكلها وقاء من النار، ومن أراد أن يجعل بينه وبين النار وقاية فبالعمل الصالح ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فالالتقاء أن تجعل شيئاً من العمل يقيك عذاب الله وغضب الله ولعنة الله.

وقال أبو هريرة: «قام رسول الله ﷺ عند الصفا لما أنزل الله عليه

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠: ١٧١ بصيغة قريبة، وقال: رواه البزار، وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف.

(٢) البخاري (٦٥٦٣) بلفظ قريب. ومسلم في الزكاة (٦٨)/(١٠١٦).

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) فنادى ﷺ بطون مكة: «يا بني عبد مناف، يا بني هاشم، يا بني عبدالمطلب، يا عباس عم رسول الله، يا فاطمة بنت محمد»، ناداهم بطناً بطناً وقرابة قرابة فاجتمعوا.

قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من عذاب النار لا أغني عنكم من الله شيئاً.  
يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار لا أغني عنكم من الله شيئاً».

ثم قال: «يا عباس أنقذ نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئاً».

يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار».

فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا<sup>(١)</sup>!

فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (٢) ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣) ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤) ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾ (٥) [المسد: ١ - ٥].

وقال ﷺ عند مسلم من حديث ابن مسعود: «يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك»<sup>(٢)</sup>.

تَصَوَّرَ النار تقاد بسبعين ألف زمام والزمام لا يعلم قوته إلا الله، وهي تموج وتهيج على الناس في الموقف وتتميز من الغيظ وتسطو على الناس في الموقف فيعرفها الناس.

مع كل زمام سبعون ألف ملك فكيف بها؟ نعوذ بالله من النار.

(١) البخاري (٤٧٧٠، ٤٧٧١) بلفظ قريب، ومسلم في الإيمان (٣٤٨)/(٢٠٤).

(٢) مسلم في الجنة (٢٩)/(٢٨٤٢).

وأما أبواب جهنم فصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب» رواه أحمد بسند صحيح<sup>(١)</sup>.

وخازنها مالك... يقول له أهل النار: ﴿يَمْلِكُ لِقَضِ عَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنَكُوتُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وأبوابها لا يعلم الإنسان ما بين المصراعين إلا الله.

وورد أن النار عليها تسعة عشر من الملائكة... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) [المدثر: ٣٠].

وورد أن طعام أهلها الزقوم كما قال تعالى عنها: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا أَلْبُظُونَ (٦٦) [الصفات: ٦٤ - ٦٦].

قال أبو جهل: أتدرون ما هو الزقوم؟

قالوا: ما ندري.

قال: التمر والدهن.

فيقول الله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤٩) [الدخان: ٤٩] يقول: ذق من هذا التمر وهذا الزبد فكل إنك أنت العزيز الكريم.

وقال: أتدرون ماذا يميننا محمد؟

قالوا: لا.

قال: سحر.

فيورده الله على وجهه إلى النار ويقول له: ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥) [الطور: ١٥] أهذا هو السحر أم لا؟

(١) أحمد في المسند ٤ : ١٤ بلفظ قريب.

قال ﷺ - والحديث متفق عليه -: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم».

قالوا: يا رسول إنها كانت كافية.

قال: «فإن نار جهنم فضّلت عليها بتسع وستين جزءاً»<sup>(١)</sup>.

نعوذ بالله من النار التي أعدها الله للمعرضين.

أما لونها فهي قد بلغت أقصى درجات ألوان الحرارة وهو اللون الأسود، وهذا قد أثبتته العلم الحديث حالياً.

روى الترمذي بسند صحيح أن الرسول ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، وأوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، وأوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة»<sup>(٢)</sup>.

وأما قعر جهنم - ونعوذ بالله من جهنم - قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة (أي صوت حجر ساقط).

فقال ﷺ: «أتدرون ما هذا؟»

قالوا: ما ندري.

قال ﷺ: «هذه صخرة ألقيت من سماء النار فمكثت سبعين خريفاً حتى وصلت الآن إلى قعر جهنم!!»<sup>(٣)</sup>.

والنار عند أهل السنة والجماعة دركات، والجنة درجات.

قال ابن قتيبة: الدرجات مرتفعة والدركات نازلة.

(١) البخاري (٣٢٦٥) بلفظ قريب، ومسلم في الجنة (٣٠)/(٢٨٤٣).

(٢) الترمذي (٢٥٩١) بلفظ: «...، ثم أوقد، ... ثم أوقد».

(٣) مسلم في الجنة (٣١)/(٢٨٤٤) بلفظ قريب.

وأحمد في المسند ٢: ٣٧١.

لا تقول للدرج العالي: دركات، بل درجات.

ولا تقول للدرج النازل: درجات بل دركات.

فالله يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:

١٤٥] فهي دركات نعوذ بالله منها.

أبو طالب ذبَّ عن الرسول ﷺ وحماه ودافع عنه.

فماذا كان جزاؤه؟

لقد شفع له الرسول ﷺ فجعله الله في ضُخْضاح من النار، تحت قدميه جمرة يغلي منها دماغه<sup>(١)</sup>!! - نعوذ بالله - وهو خالد مخلد في النار، وفي الصحيح أن أخف الناس عذاباً رجل يوضع بين أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه<sup>(٢)</sup>.

وأما سلاسلها فقد ورد عند أحمد والترمذي بأسانيد صحيحة أن الرسول ﷺ ذكر السلسلة من سلاسل جهنم فقال ﷺ: «لو أن حديدة وقعت من السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقعت هذه السلسلة قبل الليل»<sup>(٣)</sup>.

أما حيَّات جهنم وعقاربها فقال ﷺ: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت»<sup>(٤)</sup>، والبخت نوع من الجمال في السودان وفي شمال ليبيا.

(١) البخاري (٣٨٨٥) بلفظ قريب، ومسلم في الإيمان (٣٦٠)/(٢١٠).

(٢) مسلم في الإيمان (٣٦١)/(٢١١) و(٣٦٣)/(٢١٣).

(٣) أحمد في المسند ٢: ١٩٧، قال الشيخ شاكر في شرحه ١١: ٨٠: إسناده صحيح. وأول الحديث: «لو أن رصاصة...» مع بعض اختلاف. والترمذي (٢٥٨٨) وضعفه الألباني في المشكاة (٥٦٨٨).

(٤) أحمد في المسند ٤: ١٩١.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠: ٣٩٠: رواه أحمد والطبراني وفيه جماعة قد وثقوا.

وحسبك إذا كانت الحية كذلك .

قرأ ابن رواحة - رضي الله عنه - وهو مع زوجته قوله تعالى :  
﴿وَأِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم : ٧١] فبكى  
حتى كادت أضلعه تختلف وهو شاب .

فقالت امرأته : ما لك ؟

قال : أخبرنا الله بالورود ولم يخبرنا بالصدور !!

والصحيح عند أهل العلم أن الورود على الصراط ليس هو دخول  
النار .

﴿وَأِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني تمرّون عليها، الأنبياء والرسل  
والصالحون والأولياء والعلماء والملوك والأغنياء والفقراء كلهم يمرّون  
على النار على الصراط الذي طوله شهر وهو أدق من الشعر وأحمى  
من الجمر وأحد من السيف يمر عليه الناس بأعمالهم فمن ناج ومن  
مكدوس في النار - نسأل الله العافية - .

أما شراب أهل النار فهو كالمُهَل، وقد فسّره عليه السلام بأنه عُكر  
الزيت<sup>(١)</sup> وهو الحار الذي يغلي من الزيت يشربه الشارب غصباً فتندلق  
أمعائه في الأرض من دبره وكلما تقطعت أنشأ الله له أمعاء جديدة،  
وهكذا . نعوذ بالله من ذلك .

أما طعام أهل النار فالزقوم كما سبق : لو أن قطرة منه سقطت  
على أهل الدنيا لأفسدت طعامهم<sup>(٢)</sup> .

فكيف بمن كان طعامه الزقوم !!؟

(١) الترمذي (٢٥٨١) وضعفه الألباني في المشكاة (٥٦٧٨) .

(٢) الترمذي (٢٥٨٥) وقال : حسن صحيح .

وقال سبحانه وتعالى في وصفها: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

قال الأصمعي: جمع هارون الرشيد العلماء والأدباء وقال لهم: كيف يصف الله لنا طلع الزقوم بأنه كرؤوس الشياطين ونحن ما رأينا رؤوس الشياطين؟ فسكتوا جميعاً.

فدخل أحد الأعراب من أهل اللغة فسمعهم يتحاورون. فقال: إن العرب تصف شيئاً معلوماً بشيء مجهول تسمع به كقول امرئ القيس:

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ  
وَالْأَغْوَالُ مَا رَأَيْنَاهَا فَيَصِفُ الرِّمَاحُ بِأَنْيَابِ الْغُولِ وَهُوَ مَا رَأَاهُ.

أما غلظ أجسامهم فعند مسلم في الصحيح قال ﷺ: «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة»<sup>(١)</sup>.

قال الشافعي: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

ومن كذب بهذه الأخبار فهو ملعون وزنديق مارق، جزاؤه السيف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً، ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

أما الغمس في النار فصَحَّ عنه ﷺ عند مسلم أنه تعالى يأتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمسه في النار غمسة فيقول له: هل رأيت نعيماً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟

(١) مسلم في الجنة (٤٤)/(٢٨٥١) بلفظ قريب.

قال: لا والله يا رب ما مرَّ بي نعيم قط.

ويؤتى بواحد من أهل البؤس في الدنيا من أهل الجنة فيغمس غمسة في الجنة فيقول له الله: هل مرَّ بك بؤس قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط<sup>(١)</sup>.

وأما خروج أناس من النار بالشفاعة، فمعتقدنا أهل السنة والجماعة أن الموحدين لا يخلدون في النار.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في منظومته في العقيدة:

لكن عصاة من أولي التوحيد قد يدخلونها بلا تخليد  
معتقدنا أن من مات وهو صاحب كبائر قد يدخل النار أو قد  
تدركه شفاعة الرسول ﷺ، ولكن لو دخل النار وهو موحد فلا يخلد  
فيها أبداً.

والدليل على ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي موسى قال:  
قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فيقول  
الله: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، هذه  
رحمة أرحم الراحمين، «فيخرجون من النار وقد امتحشوا واسودوا  
وتغيّرت ألوانهم فيُغمسون في نهر الحياة عند باب الجنة فيدخلون صفر  
الألوان مكتوب عليهم (الجهنميون) عتقاء الله من النار»<sup>(٢)</sup>.

وأما بعث النار، فإذا جمع الله الأولين والآخرين - والحديث في  
الصحيحين - قال الله: يا آدم ابعث بعثاً إلى النار.

قال: يا رب من كم؟ يعني من أمتي.

(١) مسلم في صفات المنافقين (٥٥)/(٢٨٠٧).

(٢) البخاري (٢٢) و(٨٠٦)، ومسلم في الإيمان (٣٠٤)/(١٨٤) و(٢٩٩)/(١٨٢).

قال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين.

فذلك يوم يشيب الولدان، ويوم تضع الحامل حملها، ويوم تذهل المرضعة عما أرضعت، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

فذهل الصحابة وقامت شعور رؤوسهم وقالوا: يا رسول الله كيف العمل؟

قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين».

ثم قال: «ألا ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟.

قالوا: الله أكبر.

قال: «أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة»؟.

قالوا: الله أكبر.

قال: «أبشروا فإنكم في الأمم التي قبلكم كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»<sup>(١)</sup>، نسأل الله رحمته.

وأما أوّل من تُسْعَر بهم النار فهم ثلاثة كما في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد، فأُتِيَ به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»<sup>(٢)</sup>.

ورجلٌ تعلّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرفه نعمه

(١) البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم في الإيمان (٣٧٩، ٣٨٠)/(٢٢٢).

(٢) مسلم في الإمارة (١٥٢)/(١٩٠٥).

فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت؛ ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرّفه نعمة فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد؛ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار.

أيها المسلمون هذا الدرس (أخبار النار) وهو مجمل لما ورد من صحيح الأخبار عنها، أما الأخبار الضعيفة والواهية فتركناها، ولكن هاهنا حروزاً تمنعكم بحول الله من دخول النار:

أولها: التوبة النصوح بأن نمسي وإياكم تائبين ونصبح تائبين ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وباب الله مفتوح في التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

ولا يزال كل يوم، وكلما ذر شارق، وكلما برق بارق، وكلما سطع نجم وأفاء، وكلما نزل قطر من السماء، وكلما لمع ضياء، وكلما ترقق الماء، فله تائب من الأولياء يعود.

الأمر الثاني: المحافظة على الفرائض، بخشوع وخضوع وتفكير وتدبر جماعة.

فأعظم ما يُنجيك من النار الصلوات الخمس جماعة.

وأعظم ما يجعلك مؤمناً هي الصلوات الخمس جماعة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سأل رجل ابن تيمية فقال: أُصِبتُ بسهم مسموم (يعني بعشق) فماذا أفعل؟

قال: عليك بالصلوات الخمس جماعة، وأكثر من الدعاء أدبار الصلوات وفي السجود وآخر الليل.

الأمر الثالث: الذكر دائماً وأبداً.

الأمر الرابع: قراءة القرآن وتدبره بحرارة وحفظ ما يستطيع.

الأمر الخامس: ترك المعاصي والذنوب ومجاهدة النفس وزجرها.

أيها اللاهي على أعلى وجل  
اتق الله الذي عز وجل  
واستمع قولاً به ضرب المثل  
اعتزل ذكر الأغاني والغزل  
وقل الفصل وجانب من هزل

﴿أَصْرَفْنَا عَنْكَ عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦) [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

